
التسهيل
في تدبر جزء عم
مع سورة الفاتحة وآية الكرسي
تأليف
محمد بن علي بن جميل المطري
باحث متخصص في تفسير القرآن الكريم والسنة النبوية
من المشاركين في تأليف موسوعة التفسير الخاصة بموقع الدرر السنية
وأحد الباحثين الأكاديميين في موسوعة الهدايات القرآنية

التسهيل

في تدبر جزء عم



التسهيل في تدبر جزء عم

مع سورة الفاتحة وآية الكرسي

تأليف

محمد بن علي بن جميل المطري

باحث متخصص في تفسير القرآن الكريم والسنة النبوية

من المشاركين في تأليف موسوعة التفسير الخاصة بموقع الدرر السنية

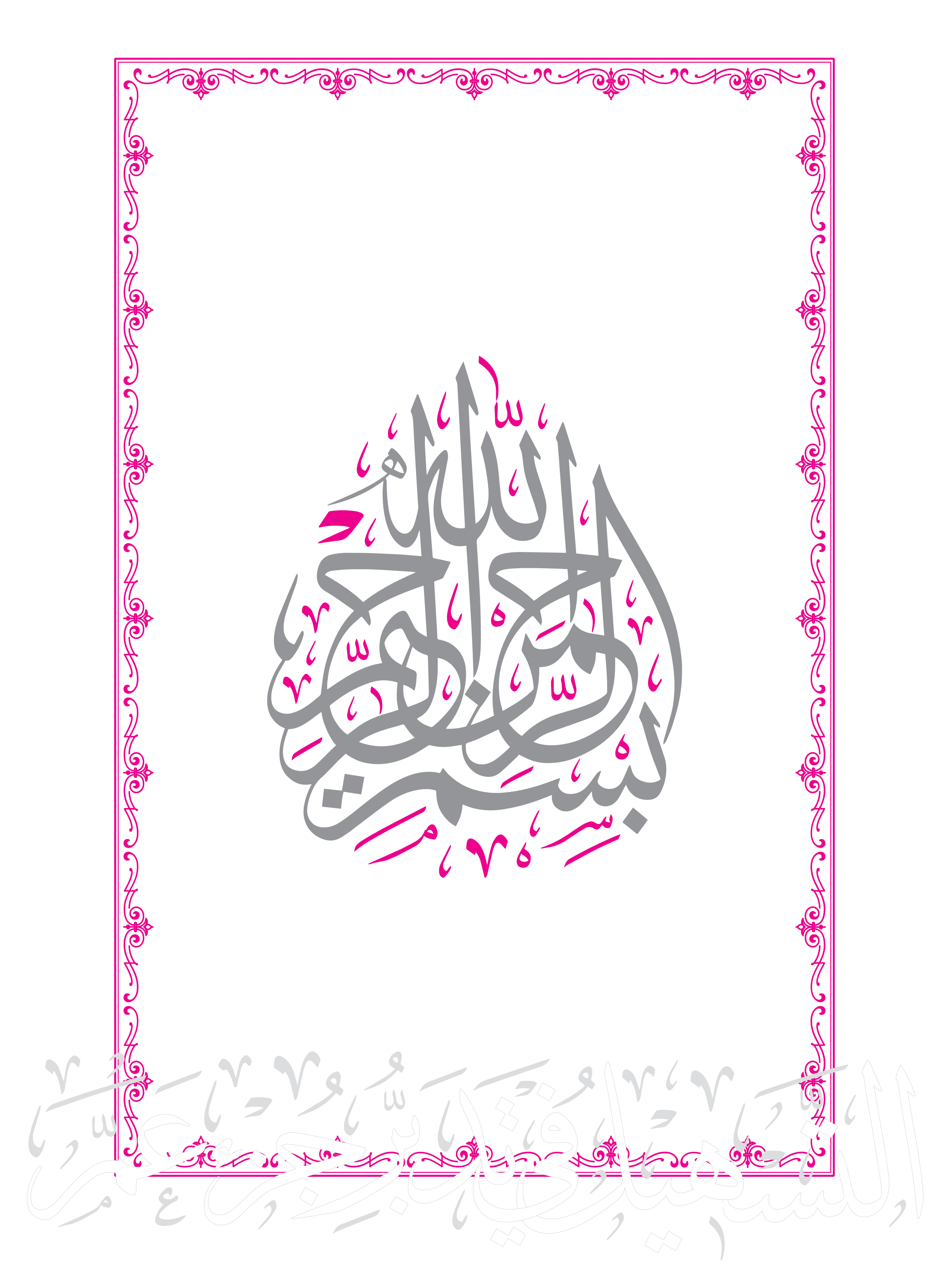
وأحد الباحثين الأكاديميين في موسوعة الهدايات القرآنية

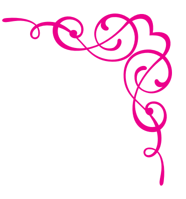
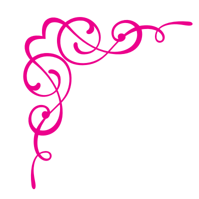
الطبعة الأولى

١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م

اســـم الـكـتـاب : التسهيل في تدبر جزء عم مع سورة الفاتحة وآية الكرسي .
اســـم الـمـؤلـف : محمد بن علي بن جميل المطري .
مقـــاس الصفحة : ١٧ × ٢٤ سم .
عـــدد الصفـحـات : (٢١٤ صفحةً) .
رقـــم الـطـبـعـة : الأولى ـ ١٤٤٢هـ / ٢٠٢٠م .
رقـــم الإيـــداع : ( ) .
التنسـيق والإخـراج : كيوفور للطباعة والنشر *https://bit.ly/**3mMAJb3***




بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومنِ اتبعَ هُداه، أما بعد:

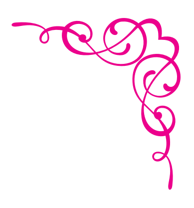
فيقول الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص:٢٩]، فقد أخبرنا الله أنه أنزل القرآن المبارك لتدبر آياته، وليتذكر بها أصحاب العقول ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، وهذا تفسير محرر مختصر لسور جزء عم، مع تفسير سورة الفاتحة التي هي أعظم سورة في القرآن، وتفسير آية الكرسي التي هي أعظم آية في كتاب الله، والقصد من هذا التفسير تسهيل تدبر آيات القرآن الكريم.

وقد لخصت هذا التفسير من أهم كتب التفسير القديمة والحديثة، لا سيما تفسير محمد بن جرير الطبري وتفسير ابن عطية وتفسير القرطبي وتفسير ابن كثير وتفسير السعدي وتفسير ابن عاشور وتفسير ابن عثيمين، مع الاستفادة كثيرا من كتب ابن تيمية وابن القيم رحمهم الله جميعا.

وحرصت في هذا التفسير على تقريب المعاني والفوائد، والتيسير على من يقرؤه أو يسمعه ليتدبر معاني كتاب الله، بما يثمر العلم النافع المقتضي للعمل الصالح.

أسأل الله أن يبارك في هذا الكتاب، وأن يجعله عونا للمسلمين على تدبر القرآن الكريم، وأن ينفع به من قرأه لنفسه أو قرأه على غيره أو درَسه أو درَّسه، ووهبته لجميع المسلمين عامة، وعسى أن يقرر على طلاب المدارس والمعاهد والمراكز العلمية، فجزى الله خيرا كل من يطبعه ويوزعه أو يوقفه في المساجد، فلا حقوق طباعة لي فيه، وأسأل الله الكريم القبول.



تدبر سورة الفاتحة

يقول الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر:٨٧]، يعني بذلك سورة الفاتحة، كما في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال: «الحمد لله رب العالمين، هي السبع المثاني، والقرآنُ العظيم الذي أوتيته»، فهي تُسمَّى السبعَ المثاني لكونها سبع آيات، ولأنها تُثنَّى وتعادَ قراءتُها في كل ركعة في الصلاة. وهذا تفسير مختصر لأعظم سورة في القرآن، سورة الفاتحة التي يُفتتح بكتابتها وقراءتها في المصاحف، ويَبدأ المصلي بقراءتها في صلاته، وتُسمَّى أم القرآن لأن معاني جميعِ آيات القرآن ترجع إليها، وكل آيات القرآن تُفصِّل معنى ما أجملته الفاتحة، فعلى كل مسلم ومسلمة أن يتدبرها.

يقول الله تعالى في أول سورة الفاتحة: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾﴾.

علَّمنا الله أن نبتدئ قراءة القرآن مستعينين به، متبركين بذكر اسمه، كما قال الله في أول سورة أنزلها على رسوله محمد ﷺ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾﴾ [العلق:١]، فيقول القارئ حين يقرأ القرآن: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ أي: أبتدئ قراءتي باسم الله. والله هو المعبود الحق دون ما سواه، وهو الاسم الأعظم على التحقيق عند كثير من العلماء؛ لأنه متضمن كل اسم من أسماء الله، وجميع الأسماء الحسنى تابعة له، مضافة إليه، ولا يضاف اسم الله إليها، وهو أخص أسماء الرب سبحانه، فلا

يسمى به غير الخالق تبارك اسمه، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الأعراف:١٨٠]، وقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه:٨].

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ اسم من أسماء الله الحسنى، بمعنى: صاحب الرحمة الواسعة، فالرحمة صفة ذات الله سبحانه، ورحمته وسعت في الدنيا جميع خلقه، فهو الذي أوجدهم من العدم بقدرته، وتفضل عليهم بأنواع النعم الظاهرة والباطنة برحمته، وهو يرحم في الدنيا المسلم والكافر، والصالح والعاصي، كما قال تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦﴾ [الأعراف:١٥٦]، فرحمة الله وسعت في الدنيا كل شيء، لكنها في الآخرة لا تكون إلا لعباده المتقين، الذين يؤتون الزكاة، ويؤمنون بآيات الله.

روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن لله مائة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخَّر الله تسعا وتسعين رحمة، يرحم بها عباده يوم القيامة». وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لما خلق الله الخلق، كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي».

﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ اسم من أسماء الله الحسنى، بمعنى: صاحب الرحمة الواصلة إلى عباده المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ٤٣﴾ [الأحزاب:٤٣]، وقال عز وجل: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ

﴿وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ١٧٥﴾ [النساء:١٧٥]، فالله يرحم المؤمنين في الدنيا والآخرة، ويلطف بهم، وفي هذا ترغيب في تحقيق الإيمان والتقوى ليفوز المؤمن برحمة الله الخاصة، وفضله ولطفه. وفي البدء بالبسلمة بيان فضل ذكر اسم الله، والابتداء باسمه في الأمور المهمة كالقراءة والكتابة والأكل والشرب ونحو ذلك، فإذا ذُكِر اسم الله في شيء وضع الله فيه بركته، وقد أخبر الله عن نبيه نوح عليه الصلاة والسلام أنه قال لأصحاب السفينة: ﴿وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآ﴾ [هود:٤١].

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾ يُعلِّم الله عباده أن يحمدوه بهذا القول، والتقدير: قولوا: الحمد لله. والحمد له معنيان: المعنى الأول: بمعنى الثناء، والمعنى الثاني: بمعنى الشكر، فالحمد بمعنى الثناء وبمعنى الشكر لله سبحانه، فمعنى قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ أي: الثناء كله لله وحده، والشكر كله لله وحده. فالثناء كله لله؛ لأنه الخالق الكامل في صفاته، وما سواه مخلوق ناقص، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾ [فاطر:١٥]. والشكر كله لله؛ لأن جميع النعم الظاهرة والباطنة، الدنيوية والدينية من عند الله وحده، وبتيسيره ورحمته، كما قال تعالى: ﴿وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗ﴾ [لقمان:٢٠]، وقال سبحانه: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [النحل:١٨]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل:٥٣]. روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لا أحدُ أحبَّ إليه المدحُ من الله؛ ولذلك مدح نفسه». وإذا علم المسلم استحقاق الله



لجميع المحامد، واستحقاقه الشكر على نعمه التي ربى بها جميع خلقه، فإنه يمتلئ قلبه من محبة الله، كما قال الله عن عباده المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]، ومن أحب الله اجتهد في عبادته، وحرص على طلب رضاه.

﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ الرب هو الخالق المالك المدبِّر، والعالمين هم كل ما سوى الله من جميع المخلوقات، من الملائكة والإنس والجن والدواب والجمادات، فالله خالق كل شيء، ومالك كل شيء، والمتصرف في جميع المخلوقات بقدرته وعلمه وحكمته، كما قال عز وجل: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٦ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٢٧﴾ [آل عمران:٢٦-٢٧].

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ الرحمن الرحيم اسمان كريمان من أسماء الله الحسنى، دالان على صفة الرحمة كما يليق بعظمة الله، والفرق بينهما أن اسم (الرحمن) يدل على رحمة الله العامة بجميع الخلق، واسم (الرحيم) يدل على رحمة الله الخاصة بالمؤمنين، وأسماء الله كلها حسنى، بالغةٌ الغايةَ في حسن الألفاظ والمعاني، والدلالةَ على كمال الصفات والعظمة، والتنزهَ عن جميع النقائص، قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء:١١٠].

وقد بدأ سورة الفاتحة بهذين الاسمين الكريمين، وكررهما في هذه السورة للتأكيد على سعة رحمته، ودين الله هو دين الرحمة، فإذا علم المسلمُ سعة رحمة الله رجاه، ولم يقنط من رحمته، وتاب إلى الله من ذنوبه مهما عظمت وكثرت، قال الله

تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر:٥٣]، والله يحب الرحماء من عباده، وأخبر أن رحمته قريب من المحسنين الذين يرحمون عباده، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف:٥٦]، وفي الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»، فمن أعظم الأخلاق التي يأمر بها الإسلام: الرحمة بالخلق، وعلى الدعاة إلى الله أن يكونوا رحماء بالناس، وأن يكونوا ميسِّرين لا معسِّرين، ومبشِّرين لا منفِّرين، وعليهم أن يستغفروا للمذنبين، مع نصحهم بالحكمة والكلمة اللينة الطيبة، ووعظهم بالموعظة الحسنة، وهكذا كان نبي الرحمةِ محمدٌ ﷺ، الذي أرسله الله رحمة للعالمين، كما قال سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [آل عمران:١٥٩]، وقال عز وجل: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥].

﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ أي: مالكِ يوم الجزاء والحساب، فمن أسماء يوم القيامة: يوم الدين؛ لأن الله يحاسب فيه جميع عباده الأولين والآخرين، ويجازيهم بأعمالهم، خيرها وشرها، ولا يملك أحدٌ في ذلك اليومِ شيئا لنفسه ولا لغيره، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ [الانفطار:١٧-١٩]. وإذا تذكر

المسلم أن الله هو مالك يوم القيامة، وأنه يبعث عباده للحساب والجزاء، خاف ذلك المقام العظيم، فترك المعاصي والآثام، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾ [النازعات:٤٠-٤١]. وهذه الآية تحث المسلم على الاستعداد ليوم الحساب بالأعمال الصالحة، والصبر على البلاء في الدنيا الفانية، والرغبة في الآخرة الباقية، فالدنيا أمد، والآخرة أبد.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ يُعلِّم الله عباده أن يقولوا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ أي: نخصك - يا ربنا - بالعبادة، متذللين لك وحدك لا شريك لك، ونستعين بك وحدك في جميع أمور ديننا ودنيانا، ونتوكل عليك في جلب ما ينفعنا، ودفعِ ما يضرنا، كما قال تعالى: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود:١٢٣]، وفي حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال له: «يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله» رواه الترمذي. فيجب على الإنسان أن يعبد الله وحده لا شريك له، ولا يعبد غيره كائنا من كان، كما قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦]، وقال سبحانه: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾ [الجن:١٨]، فيخلص المسلمُ جميعَ عباداته لله وحده، من صلاة وصيام وزكاة وحج، وغير ذلك من العبادات القلبية والقولية والفعلية، قال الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ۝١١٠﴾ [الكهف:١١٠]. ويجب على المسلم أن يتوكل على الله وحده، فيعتمد قلبُه على الله في جلب ما ينفعه، ودفعِ ما يضره في دينه ودنياه، مع الأخذ

بالأسباب الشرعية. والتوكل عبادة قلبية تدل على كمال إيمان صاحبها، قال الله تعالى: ﴿فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣﴾ [المائدة:٢٣]. وفي قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ براءة من الشرك والرياء، فيعاهد العبد ربه أن يعبده وحده، وأن لا يشرك به شيئا، لا مَلَكا ولا نبيا ولا وليا ولا شجرا ولا حجرا ولا دنيا ولا هوى. وفي قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ براءة من الكِبْر والعُجْب، فيتذكر العبد أن أي فضيلة فيه دينية أو دنيوية فهي من فضل الله عليه، وهو الذي أنعم بها عليه وأدامها، فلماذا يتكبر ويفخر بها على غيره؟! ولماذا يعجب بها وهي من فضل الله عليه، ولو شاء لسلبه إياها؟! فيتواضع العبد حين يتذكر أن الله هو الذي أنعم عليه النعم التي لا تعد ولا تحصى، وأعانه على تحصيل الفضائل، فلا يتكبر على عباده، ويشكر ربه على نعمه. وقُدمت العبادة على الاستعانة في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾ لأن العبادة هي الغاية من خلق الخلق، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات:٥٦]، والاستعانة هي الوسيلة، فقُدِّمت الغاية على الوسيلة، فيجب على المسلم أن يجعل عبادةَ الله همَّه وغايته، ويستعين بالله على تحقيقها. وقد علَّمنا الله أن نقول: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾، ولم: يقل: إياك أعبد وإياك أستعين، وهذا يدل على أهمية الاجتماع في العبادات التي يشرع الاجتماع فيها كالصلاة، كما قال تعالى: ﴿وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣﴾ [البقرة:٤٣]، فيصلي المسلم الفريضة في المسجد مع جماعة المسلمين، وفي الآية حث للمسلمين على التعاون على البر والتقوى فيما ينفعهم في أمور دينهم ودنياهم.

﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾ أي: دُلَّنا ووفِّقنا إلى الطريق الواضح الواسع، الذي لا اعوجاج فيه ولا ضيق، ولا إفراطَ فيه ولا تفريط، وهو دين الإسلام الموصل إلى رضا الله وجنته، وهو طريق واحد لا يتعدد، ومن سلك غيرَه فقد ضل، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام:١٥٣]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾ [آل عمران:٨٥]. وهذا الصراط المستقيم هو الإسلام الذي بعث الله به نبيه محمدا ﷺ، وهو طاعة الله وطاعة رسوله، كما قال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١﴾ [يس:٦١]، وقال سبحانه عن رسوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٧٣﴾ [المؤمنون:٧٣]. وهذا الدعاء: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾ أعظم دعاء على الإطلاق، فالمسلم يحتاج أن يهديه الله لمعرفة الحق في أمور دينه، ومعرفة الصواب في أمور دنياه، وما يجهله العبد أكثر مما يعلمه، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾ [الإسراء:٨٥]، ويحتاج العبد أن يوفقه الله لأحسن الأعمال والأخلاق في جميع أموره وأحواله، وإذا علم العبد الحق يحتاج أن يوفقه الله للعمل به، وإذا عمل به يحتاج أن يوفقه الله للثبات عليه، فحاجة المسلم إلى هذا الدعاء فوق كل حاجة؛ ولذلك أوجب الله على المسلم أن يدعو ربه بهذا الدعاء في كل ركعة في صلاته. والصراط المستقيم طريق قديم، سلكه جميع الصالحين من قبلنا، وليس طريقا جديدا محدثا، ففي هذه الآية إبطال جميع البدع التي لم تكن من منهج الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين

والشهداء والصالحين، قال الله لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام بعد أن ذكر الأنبياء السابقين: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام:٩٠]، وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه، فهو رد» رواه البخاري ومسلم، أي: من أحدث شيئا في الدين فهو باطل غير معتد به، وهذا الحديث صريح في رد كل البدع، وفي الحديث الصحيح الذي رواه أبو داود عن العرباض بن سارية رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة».

واعلموا أن القرآن كتابُ هداية، فمن أراد الهداية إلى الصراط المستقيم فليتدبر القرآن ويتبعه، فهو يهدي للخصلة التي هي أحسن الخصال في جميع الأمور، وفي جميع الأحوال، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾ [الإسراء:٩]، وتأمل قول الله في أول سورة البقرة التي تلي سورة الفاتحة: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة:٢]، فكأن الله يقول: يا من يريد الهداية إلى الصراط المستقيم تدبر هذا القرآنَ العظيمَ واتَّبِعه، فهو يهدي المتقين، ويبين لهم كل ما يحتاجون إلى بيانه، كما قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ۝٨٩﴾ [النحل:٨٩].

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ أي: اهدنا طريق الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، الذين علموا الحق وعملوا به، وجنِّبنا طريق المغضوب عليهم الذين علموا الحق

ولم يعملوا به كاليهود ومن تشبه بهم من هذه الأمة، وجنِّبنا طريق الضالين الذين لم يهتدوا إلى الحق لجهلهم بالحق، فهم يعملون بأهوائهم وآرائهم المخالفةِ لشرع الله، كالنصارى ومن تشبه بهم من هذه الأمة. قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النساء:٦٩]، وقال الله عن اليهود: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٦١﴾ [البقرة:٦١]، وقال الله عن النصارى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٧٧﴾ [المائدة:٧٧]، وقال الله عن المنافقين والمشركين: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا ٦﴾ [الفتح:٦]. وفي الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي عن عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اليهود مغضوبٌ عليهم، والنصارى ضُلَّال».

وهذه الآية: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ قسَّمت جميع الناس إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول: من علم الحق وعمل به، القسم الثاني: من علم الحق ولم يعمل به، القسم الثالث: من جهل الحق، وعمل بالباطل على جهل، وهو يحسب أنه يحسن صنعا. ففي جميع الأمور ينقسم الناس إلى هذه الثلاثة الأقسام، في الواجبات، وفي المحرمات، وفي الفتن والخلافات المالية والأسرية والسياسية، فمن الناس من يعلم الحق ويعمل به، ومنهم من يعلم الحق ولا يعمل به، اتباعا لهواه، أو طلبا لدنيا زائلة، ومن الناس

من يضل عن الحق جهلا، إما بالإفراط أو التفريط، وهو يحسب أنه يحسن صنعا. وهذا التقسيم في جميع الأمور والأحوال، فمثلا: من الناس من يعلم أن الصلوات الخمس واجبة عليه، فهو يحافظ عليها في أوقاتها، فهذا علم الحق في هذا الأمر وعمل به. ومن الناس من يعلم أن الصلوات الخمس واجبة عليه، لكنه يتهاون بها، ويترك بعض الصلوات مع علمه بإثمه العظيم، فهذا تَشبَّه باليهود الذين يعلمون الحق ولا يعملون به، ويُخشى عليه غضب الله إن لم يتب إلى الله. ومن الناس من لا يعلم أن الصلوات الخمس واجبة عليه، ولا يعلم أنها عمود الدين، ولا يعلم أنه يأثم أعظم الإثم بترك صلاة واحدة، فأضاع الصلاة، واتبع الشهوات، ولا يصلي إلا صلاة الجمعة أو بعض الصلوات بحسب رغبته، فهذا ضال. مثال آخر: من الناس من يعلم أن التعامل بالربا محرم، فهو يترك التعامل بالربا؛ لعلمه بأن الله حرمه، وأن الله لا يحرم شيئا إلا لضرره في العاجل والآجل، فهذا من المهتدين في هذا الأمر. ومن الناس من يعلم أن الربا محرم لكنه يتعامل بالربا، مع علمه بأنه من كبائر الذنوب، ومع علمه بأن آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهده ملعونون، ومع هذا يتعامل بالربا طمعا في ربحٍ فانٍ أو رغبة في مصلحة زائلة، فهذا فيه شبه باليهود المغضوب عليهم. ومن الناس من يجهل أن الربا محرم، فهو يتعامل به أو يقع في بعض المعاملات الربوية التي لا يعلم أنها من الربا، ولا يسأل أهل العلم عن حكمها، فهذا ضال. وهكذا في جميع الواجبات وفي جميع المحرمات ينقسم الناس إلى هذه الأقسام الثلاثة، فعلى المسلم أن يحرص على سؤال الله الهداية في جميع أموره، وأن يدعو الله دعاء الغريق أن يهديه إلى الحق في

جميع أحواله، ﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ٢١٣﴾ [البقرة:٢١٣]. وهذه الآية تحث المسلم على تعلم دينه، وسؤال العلماء عن الحلال والحرام حتى لا يكون من الضالين، وعليه أن يعمل بالحق الذي تعلمه حتى لا يكون من المغضوب عليهم. وفي هذه الآية تحذير عظيم من طاعة اليهود والنصارى، ومن التشبه بهم فيما هو من خصائصهم، وفيها الحث على مخالفتهم في أمورهم الخاصة بهم، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ١٠٠﴾ [آل عمران:١٠٠]، وقال سبحانه: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡ﴾ [البقرة:١٢٠]، وقال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١﴾ [المائدة:٥١]، وروى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لتتبعن سَنَن الذين من قبلكم، شبرا بشبر، وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا في جُحر ضَبٍّ لاتبعتموهم!» قلنا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟! قال: «فمَن؟». وقد دل هذا الحديث على أن طوائف من شرار هذه الأمة سيتبعون طرق المغضوب عليهم والضالين، فلا يقع اليهود والنصارى في شيء من الضلالات إلا ومن هذه الأمة من يقع فيما وقعوا فيه، فحذرنا نبينا محمد ﷺ من اتباع سبل أولئك الذين تركوا الحق عمدا لفساد نياتهم أو تركوا الحق جهلا لفساد علمهم، فما من انحراف في هذه الأمة بإفراطٍ أو تفريطٍ إلا وأصله يرجع إلى تَشَبُّهٍ باليهود المغضوب عليهم أو تَشَبُّهٍ بالنصارى الضالين؛ ولذلك شرع الله للمسلم أن يسأل الله دائما الهداية إلى الاستقامة التي لا

يهودية فيها ولا نصرانية، فأي مخالفة للحق من هذه الأمة فهي ترجع إلى شُعبةٍ من شُعَب اليهود أو شُعبةٍ من شُعَب النصارى. فمثلا: عدم تعظيم الله ورسله وكتبه، وكتمان الحق، وخلط الحق بالباطل، والحسد، وعقوق الوالدين، والتهاون بالصلاة، ومنع الزكاة، وأكل الربا، وأكل أموال الناس بالباطل، وظلم الناس، والقتل بغير الحق، والإعراض عن الحكم بما أنزل الله، واحتقار العلماء والدعاة، والإيمان ببعض الكتاب دون بعض؛ كلها من صفات اليهود كما بيَّن الله ذلك في آيات كثيرة. وأيضا: الجهل بالعقيدة الصحيحة، والابتداع في الدين ابتغاء رضوان الله بما لم يدل عليه دليل، والغلو في الصالحين برفعهم فوق منزلتهم، ودعائهم مع الله؛ كلها من صفات النصارى كما بيَّن الله ذلك في كتابه.

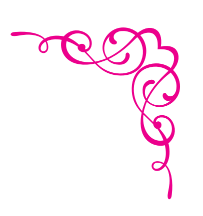
فائدة مهمة: سورة الفاتحة هي أم القرآن وأساسه، فإليها ترجع جميع معاني آيات القرآن الكريم، وكل آيات القرآن تُفصِّل معنى ما أجملته الفاتحة، وبيان ذلك فيما يلي:

- الآيات التي فيها بيان عظمة الله، والتعريف بأسمائه الحسنى، كلها تبيين وتفصيل لمعنى قوله تعالى: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١﴾ [الفاتحة:١].
- الآيات التي فيها حمد الله وشكره، وبيان كثرة نعمه على عباده، وربوبيته لجميع خلقه من الإنس والجن والملائكة وجميع الدواب والجمادات، كلها تبيين وتفصيل لمعنى قوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾ [الفاتحة:٢].

- الآيات التي فيها رحمة الله العامة بخلقه، ورحمته الخاصة بعباده الصالحين، كلها تبيين وتفصيل لمعنى قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣﴾ [الفاتحة:٣].
- الآيات التي فيها إثبات البعث بعد الموت، وذكر القيامة والحساب والجزاء والجنة والنار، كلها تبيين وتفصيل لمعنى قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾ [الفاتحة:٤].
- الآيات التي فيها الأمر بعبادة الله وحده، والتحذير من الشرك والرياء، والآيات التي فيها بيان العبادات المتنوعة من صلاة وصوم وزكاة وصدقة وحج وعمرة وجهاد وصبر وشكر وذكر لله ودعاء واستعاذة وتوكل وغير ذلك من العبادات الظاهرة والباطنة، كلها تبيين وتفصيل لمعنى قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾ [الفاتحة:٥]، وكذلك الآيات التي فيها الحث على الاجتماع، وترك التفرق والاختلاف، والأمر بالتعاون على البر والتقوى، كلها تدخل في معنى هذه الآية.
- الآيات التي فيها بيان الإيمان والاعتقاد الصحيح والعمل الصالح والأخلاق الفاضلة، وتوضيح الإسلام وأحكامه وشرائعه، والأمر بالتوسط بلا إفراط ولا تفريط، والنهي عن الغلو والتكلف، كلها تبيين وتفصيل لمعنى قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾ [الفاتحة:٦].
- الآيات التي فيها الإخبار عن النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وذكر قصصهم، كلها تبيين وتفصيل لمعنى قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفاتحة:٧]؛ لنقتدي بهم في دعوتهم وصبرهم وأخلاقهم وعبادتهم لله ودعائهم.

- الآيات التي فيها الإخبار عن الكفار والمشركين، وبيان صفات اليهود والنصارى والمنافقين وعلماء السوء، والمعرضين عن كتاب الله وتحكيمه، والغافلين عن عبادة الله وطاعته، كلها تبيين وتفصيل لمعنى قوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة:٧]؛ لنحذر من الاتصاف بصفاتهم.

هذا، ويستحب لمن قرأ سورة الفاتحة أن يقول: (آمين)، بمعنى: اللهم استجب، ففي سورة الفاتحة أعظم وأفضل دعاء، وهو الدعاء بالهداية إلى الصراط المستقيم، وفي صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا قال الإمام: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ فقولوا: آمين، فإنه من وافق قولُه قول الملائكة غُفِر له ما تقدم من ذنبه».



تدبر آية الكرسي



آية الكرسي هي أعظم آية في كتاب الله، وهي تشتمل على عشر جمل، نذكر تفسيرها باختصار فيما يلي:

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: الله لا معبود بحق إلا هو سبحانه، فلا أحد كائنا من كان يشاركه في استحقاق العبادة.

﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ اسمان من أسماء الله الحسنى، فهو الحي حياة كاملة لم يتقدمها عدم، ولا يلحقُها فناء، القيوم أي: القائم بنفسه، والمقيم جميع خلقه بالإيجاد والرزق والتدبير، فهو الغني عن جميع خلقه، لا يحتاج إلى الملائكة، ولا إلى العرش، ولا إلى أحد من عباده، وجميع خلقه فقراء إليه، فلا يستغني أحد من الخلق عن الله، كما قال سبحانه: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ [هود:٥٦]، وقال عز وجل: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦ﴾ [الروم:٢٥].

﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾ الله سبحانه لا ينعَس ولا ينام، لكمال حياته، وكمال صفاته.

﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ هذا بيان سعة ملك الله، فكل ما في السماوات وما في الأرض عبيد لله، مملوكون له، وهو المتصرف وحده في جميع خلقه بمشيئته وحكمته.

﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ أي: من هذا الذي يملك الشفاعة عند الله إلا بإذن الله؟ فلا يجرؤ أحد يوم القيامة أن يتكلم إلا بإذن الله، ولا يشفع الأنبياء والصالحون والملائكة يوم القيامة إلا بإذن الله لمن يريد أن يرحمهم من المسلمين، كما قال تعالى: ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا ﴿٣٧﴾ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا ﴿٣٨﴾﴾ [النبأ:٣٧-٣٨]، وقال سبحانه: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم:٢٦]، وقال عز وجل: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨].

﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾ هذا بيان سعة علم الله، فهو يعلم الحاضر والماضي والمستقبل لكل مخلوق بالتفصيل، فلا يخفى عليه شيء من أحوال خلقه في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾﴾ [آل عمران:٥]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٦﴾﴾ [هود:٦]، وقال عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩]، فالله سبحانه يعلم مستقر كل مخلوق كبير أو صغير حال حياته، ويعلم مستودعه في الأرض بعد موته، ويعلم جميع أحوالنا التي نتقلب فيها في الدنيا، ويعلم مثوى كل واحد منا في الآخرة في الجنة أو في النار، وكل ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ عنده، قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ

وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾ [الأنعام:٥٩].

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ هذا بيان قلة علم المخلوقين بالنسبة إلى علم الله، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء:٨٥]، فالعباد لا يعلمون شيئا من علم الله الواسع إلا بما شاء أن يطلعهم عليه، سواء من العلم الديني أو العلم الدنيوي، فمثلا لا نعلم من أسماء الله الحسنى، ولا نعلم من قصص الأنبياء إلا ما أطلعنا الله عليه، كما قال تعالى: ﴿وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَ﴾ [النساء:١٦٤]، ولا نعلم من أسرار الطبيعة إلا ما شاء الله أن يطلع العباد عليه في الوقت الذي يريده الله، كالكهرباء التي كانت موجودة في الأرض منذ خلقها الله، ولكن لم يشأ الله أن يطلع الناس عليها إلا في هذه الأزمنة المتأخرة.

﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ هذا بيان عظمة الله سبحانه، فالكرسي مخلوق من مخلوقات الله، يسع السماوات السبع والأرض، فالسماء الدنيا التي زيَّنها الله بالنجوم تحيط بالأرض من جميع جوانبها، والسماء الثانية تحيط بالسماء الأولى، وهكذا تحيط كل سماء بالسماء التي دونها، والكرسي فوق السماء السابعة، وفوقه العرش العظيم، وهو مستقر على ماء عظيم بقدرة الله كما أخبرنا الله بذلك في كتابه في سورة هود في قوله: ﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾ [هود:٧]، أي: كان ولم يزل، وروى البيهقي في كتابه الأسماء والصفات بإسناد حسن عن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (ما بين السماء الدنيا والتي تليها مسيرة خمس

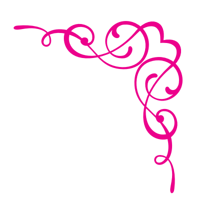
مائة عام، وما بين كل سماء مسيرة خمس مائة عام، وما بين السماء السابعة والكرسي مسيرة خمس مائة عام، وما بين الكرسي والماء مسيرة خمس مائة عام، والعرش على الماء، والله عز وجل على العرش يعلم ما أنتم عليه)، ولا نعلم كيفية الكرسي ولا العرش، والذي نعلمه أنهما مخلوقان عظيمان، والعرش أعظم من الكرسي، بل هو أعظم المخلوقات، كما قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۝١٢٩﴾ [التوبة:١٢٩].

﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَا﴾ أي: ولا يُثقِل اللهَ ولا يُتعِبه ولا يشق عليه حفظُ السماوات السبع والأرض وما فيهما من الخلق، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَا﴾ [فاطر:٤١]، وقال سبحانه: ﴿يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ۝٢٩﴾ [الرحمن:٢٩]، فهو يحيي ويميت، ويُقدِّر الأرزاق، ويجيب الدعوات، ويُقلِّب الليل والنهار، ويدبر الكون بما يشاء، وهو أحكم الحاكمين في تدبير خلقه.

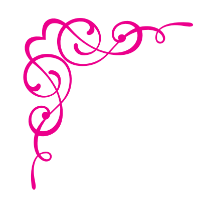
﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٢٥٥﴾ هذان اسمان من أسماء الله الحسنى، فالله هو العلي بذاته وقدْره وقهره، العظيم الذات والصفات، فهو أكبر من كل شيء، فلا شيء أعظم منه، فيجب على المسلم تعظيم الله، وتعظيم أمره ونهيه، وتعظيم شرعه، وطاعته والخوف من عقابه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٦٧﴾ [الزمر:٦٧]. ومثل اسم الله العلي الدال على علو الله على خلقه اسمان

آخران من الأسماء الحسنى، وهما: الأعلى والمتعال، والأدلة على علو الله على خلقه علوا يليق بجلاله وعظمته كثيرة جدا، منها: قول الله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:٥]، وقوله سبحانه: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦﴾ [الملك:١٦]، وقوله عز وجل: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١﴾ [الأعلى:١]. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء؟!» رواه البخاري ومسلم. قال علامة اليمن السيد محمد بن إبراهيم الوزير رحمه الله في كتابه العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم: (قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ (في) هنا بمعنى فوق، كقوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾ [طه:٧١]، ولا يحيط بالله شيء بالإجماع، وهي في الفوقية حقيقة لا مجاز، وآيات الاستواء توضح ذلك). وقال ابن قدامة المقدسي رحمه الله في أول كتابه إثبات صفة العلو: (الله تعالى وصف نفسه بالعلو في السماء، ووصفه بذلك محمدٌ خاتم الأنبياء، وأجمع على ذلك جميعُ العلماء من الصحابة الأتقياء، والأئمة من الفقهاء، وتواترت الأخبارُ بذلك على وجهٍ حصل به اليقين، وجمع الله تعالى عليه قلوب المسلمين، وجعله مغروزا في طباع الخلق أجمعين).

انتهى تفسير آية الكرسي بحمد الله الأعلى العلي، وسبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.



تدبر سورة النبأ



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝١﴾ أي: عن أي شيءٍ عظيمٍ يتساءلُ كفار قريش؟!

﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ۝٢﴾ أي: يسأل كفار قريش بعضُهم بعضا عن الخبر العظيم، وهو القرآن الذي فيه إثباتُ البعث بعد الموت للحساب والجزاء.كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ۝٦٧ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ۝٦٨﴾ [ص:٦٧-٦٨]. وقال سبحانه: ﴿بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۝٣﴾ [ق:٢-٣].

﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣﴾ أي: اختلف أهل مكة في القرآن الذي أنزله الله على رسوله، فمنهم من آمن به، ومنهم من وصفه بأنه كلام مجنون أو ساحرٍ أو مسحورٍ أو شاعرٍ أو أساطيرُ الأولين، وكذلك البعثُ بعد الموت اختلفوا فيه، فمنهم من صدق بأنه حق، ومنهم من كذب به، ومنهم من شك فيه.

﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤﴾ أي: ليس الأمر كما يزعم المكذبون بالقرآن والمنكرون قدرة الله على بعث الموتى، سيعلم هؤلاء الكفار الحق عند موتهم وبعثهم، وسيعلمون ما يأتيهم من عذاب الله.

﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٥﴾ أي: ثم ليس الأمر كما يزعم المكذبون بالقرآن والمنكرون بعث الموتى، سيعلمون الحق عند موتهم وبعثهم، وسيعلمون ما يأتيهم من العذاب.

﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ۝٦﴾ أي: ألم نجعلِ الأرض مذللةً للناس كالفِراش، صالحةً لاستقرارهم عليها؟

﴿وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ۝٧﴾ أي: وجعلنا الجبال كالأوتاد للأرض تثبتها وتمنعها من الاضطراب.

﴿وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ۝٨﴾ أي: وصيرناكم أصنافا، ذكورا وإناثا؛ ليحصلَ التزاوجُ والنسلُ منهما.

﴿وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا ۝٩﴾ أي: وصيرنا نومكم راحة لكم، تنقطعون به من تعب أعمالكم، وتقومون بعد نومكم بنشاطٍ متجدد.

﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ۝١٠﴾ أي: وجعلنا الليل غطاء لكم بظلامه كما يغطي الثوبُ البدن لتسكنوا في الليل.

﴿وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ۝١١﴾ أي: وجعلنا النهار مضيئا لكم؛ لتتصرفوا بنوره في طلب أرزاقكم ومصالحِكم.

﴿وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعٗا شِدَادٗا ۝١٢﴾ أي: وبنينا فوقكم - أيها الناس - سبع سماوات في غايةِ القوة والصلابة، لا صدوعَ فيها، ولا تبلى مع طول الزمن.

﴿وَجَعَلۡنَا سِرَاجٗا وَهَّاجٗا ١٣﴾ أي: وخلقنا شمسا مضيئة، يتوهج نورُها وحرارتُها لمصالحِ أهل الأرض.

﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا ١٤﴾ أي: وأنزلنا من السحاب ماء المطر المنصبَ إلى الأرض بتتابعٍ وكثرةٍ.

﴿لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبّٗا وَنَبَاتٗا ١٥﴾ أي: لنُخرج بالمطر أنواعَ الحبوب التي تُحصد كالبُر والشعير والذرة والأرز، وأنواعَ النبات الذي يأكله الناس، والذي ترعاه الدواب.

﴿وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا ١٦﴾ أي: ونُخرج بالمطر ثمار بساتين التفت أشجارُها بعضُها ببعض؛ لكثرتها، وتقاربها، وتداخلِ أغصانها. ولما ذكر الله هذه النعم الدالةِ على كمال قدرته أتبعها بذكر البعث؛ لأن القادر على خلق هذه الأشياء قادرٌ على بعث الموتى وحسابهم، فقال:

﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتٗا ١٧﴾ أي: إن يوم القيامة الذي يحكم الله فيه بين عباده كان وقتا محددا لا يعلمه إلا الله سبحانه.

﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا ١٨﴾ أي: يوم ينفخ المـَلَك في القرن النفخةَ الثانية لبعث الناس يوم القيامة، فتخرجون - أيها الناس - من قبوركم وتأتون إلى أرض المحشر للحساب والجزاء جماعاتٍ جماعات، كل أمة مع نبيهم. كما قال تعالى: ﴿يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمۡ﴾ [الإسراء:٧١].

﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ١٩﴾ أي: وشُقِّقت السماء فصارت يوم القيامة أبوابا مفتحة تنزل منها الملائكة.

﴿وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا ٢٠﴾ أي: وقُلِعت الجبالُ وتذهبُ يوم القيامة حتى تكون لمن يراها كالسراب الذي لا حقيقة له، لأنها تصيرُ هباء. كما قال تعالى: ﴿وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا ٥ فَكَانَتۡ هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا ٦﴾ [الواقعة:٥-٦].

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا ٢١﴾ أي: إن جهنم كانت مرصدةً لأهلها، تنتظرهم حين يجتازون على الصراط لتخطفَهم إليها. كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ٧١ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ٧٢﴾ [مريم:٧١-٧٢]. وفي الصحيحين عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يُضرب الصراطُ بين ظهراني جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يَجيز، ولا يتكلمُ يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلِّم سلِّم، وفي جهنم كلاليبُ مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله، تخطف الناسُ بأعمالهم». وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يؤتى بالجسر فيُجعل بين ظهري جهنم»، قلنا: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: «مدحضةٌ مزلة، عليه خطاطيف وكلاليب، المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح، وكأجاويد الخيل والركاب، فناجٍ مسلَّم، وناجٍ مخدوش، ومكدوسٍ في نار جهنم، حتى يمرَ آخرُهم يُسحب سحبا».

﴿لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾﴾ أي: جهنم مرجعا للذين طغوا في الدنيا، فجاوزوا حدهم بالكفر والمعاصي والاعتداء على عباد الله، فيستقرون فيها.

﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابًا ﴿٢٣﴾﴾ أي: في حال كون الطاغين ماكثين في جهنم أوقاتا طويلة متوالية لا تنقطع.

﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾﴾ أي: لا يحس الطاغون في جهنم بردا يبرد أبدانهم ويُزيل الحر عنهم، ولا شرابا يُزيل عطشهم.

﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾﴾ أي: لا يجد الطاغون في جهنم شرابا إلا الحميم الشديد الحرارة، ولا بردا إلا الغساق الشديد البرودة، المنتنَ الرائحة، وهو ما يسيل من صديدِ أهلِ النار وعرقِهم ودموعِهم.

﴿جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾ أي: عاقبهم الله في جهنم على كفرهم ومعاصيهم عقابا وافق أعمالَهم، ولم يظلمهم الله سبحانه.

﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾﴾ أي: إن الكفار كانوا في الدنيا لا يخافون حساب الله لهم في الآخرة، فلم يعملوا بما يرضي الله؛ لإنكارهم البعثَ والحسابَ والجزاء.

﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾﴾ أي: وكذَّب الكفار في الدنيا بآياتنا الدالة على الحق تكذيبا صريحا مع وضوح دلالتها على توحيد الله وصدق رسله.

﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾﴾ أي: وكل شيء من أعمال العباد كتبته الملائكةُ بأمر الله في صحائف الأعمال، وكتبنا كل ما يكون في الكون في اللوح المحفوظ،

فلا يخفى على الله شيء. كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس:٦١]. وقال سبحانه: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾﴾ [القمر:٥٢-٥٣]. وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة».

﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ أي: يقال للكفار في جهنمَ توبيخا وتقريعا: فذوقوا طعم العذابِ فلن نزيدكم في المستقبل إلا عذابا فوق عذابكم الذي كنتم فيه، قال العلماء: هذه أشدُ آيةٍ على أهل النار، فهم في مزيدٍ من العذاب أبدا. قال الله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء:٥٦]. وقال سبحانه: ﴿مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [الإسراء:٩٧].

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾﴾ أي: إن للذين اتقوا عذاب الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه مكان فوز في الجنة.

﴿حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾﴾ أي: بساتين محاطة، مشتملة على أشجار الفواكه وأنواع الأعناب.

﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾﴾ أي: ونساء شابات نواهد لم يتدلَّ ثديهُن، أعمارُهن متساوية. كما قال تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾ [الواقعة:٢٢-٢٣].

﴿وَكَأۡسٗا دِهَاقٗا ٣٤﴾ أي: وكؤوسا مملوءة من خمر الجنة، صافيةً، متتابعةً على شاربيها.

﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا كِذَّٰبٗا ٣٥﴾ أي: لا يسمع المتقون في الجنة باطلا لا فائدة في سماعه من الكذب وغيره، ولا يُكذِّب بعضهم بعضا في حديثهم.

﴿جَزَآءٗ مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابٗا ٣٦﴾ أي: أعطى ربك المتقين على طاعتهم له في الدنيا ثوابا في الجنة كافيا كثيرا مضاعفا.

﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ﴾ أي: جزاء المؤمنين في الجنة من خالقِ ومالكِ ومدبرِ السماوات السبع والأرض وما بينهما من المخلوقات، الرحمنِ الذي وسعت رحمتُه كل شيء.

﴿لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا ٣٧﴾ أي: لا يقدر أحدٌ من الخلق كائنا من كان أن يبتدئ يوم القيامة بمخاطبة الله بلا إذنٍ منه. كما قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ ١٠٥﴾ [هود:١٠٥].

﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ﴾ أي: يوم القيامة يقوم جبريل وجميع الملائكة صفوفا خاضعين لله.

﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا ٣٨﴾ أي: لا يتكلم أحدٌ من الخلق من الملائكة وغيرهم يوم القيامة إلا من أذن الله له في الكلام والشفاعة، وتكلم بالصواب الذي يُرضي الله كتوحيد الله وحمده والثناء عليه.

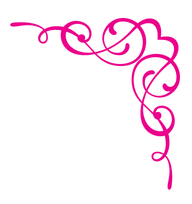
﴿ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلۡحَقُّۖ﴾ أي: يومُ القيامة اليومُ الحق الذي لا شك في وقوعه، ويحكم الله فيه بين عباده بالعدل.

﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ٣٩﴾ أي: فمن شاء اتخذ إلى ربه مرجعا بالتوبة والإيمان والأعمال الصالحة لينجوَ من عذاب الله.

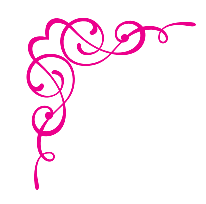
﴿إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ أي: إنا حذرناكم - أيها الناس - عذابَ جهنم، وهو قريبٌ منكم؛ لاقترابِ موتكم، وقربِ بعثكم. كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدًا ٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ٧﴾ [المعارج:٦-٧].

﴿يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ﴾ أي: يوم القيامة ينظرُ كلُ إنسان ما عمل في الدنيا من خيرٍ وشر في كتاب أعماله الذي كتبته الملائكة. كما قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا﴾ [الكهف:٤٩]. وقال سبحانه: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٦ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾ [الزلزلة:٦-٨].

﴿وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ٤٠﴾ أي: ويقول الكافر يوم القيامة متحسرا: ياليتني صرتُ ترابا مثل الحيوانات التي يجعلها الله ترابا حتى لا يعذبني الله في جهنم. قال الله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٣٩﴾ [مريم:٣٩]. اللهم إنا نعوذ بك من الحسرة يوم القيامة، ونسألك برحمتك النجاةَ من النار، والفوزَ بالجنة مع الأبرار.



تدبر سورة النازعات



﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ١﴾ أي: أُقسم بملائكة الموت التي تقبض أرواح الكفار بشدة، وتبالغ في إخراجها من أجسادهم بقوة كما يبالغ الرامي في مد قوسه. كما قال تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٥٠﴾ [الأنفال:٥٠]. وفي الحديث الصحيح الذي في مسند أحمد عن البراء بن عازب رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إن العبد الكافر إذا كان في انقطاعٍ من الدنيا، وإقبالٍ من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكةٌ سودُ الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخطٍ من الله وغضب، فتفرق في جسده، فينتزعها كما يُنتزعُ السَّفُّودُ من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدَعوها في يده طرفةَ عين حتى يجعلوها في تلك الـمُسُوح، ويخرج منها كأنتنِ ريحِ جيفةٍ وُجِدت على وجه الأرض».

﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ٢﴾ أي: وأُقسم بملائكة الموت التي تقبض أرواح المؤمنين بسهولةٍ ورفق، وسرعةٍ وخفة. كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨﴾ [الفجر:٢٧-٢٨]. وفي الحديث المشهور عن البراء بن

عازب رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكةٌ من السماء بيضُ الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفنٌ من أكفان الجنة، وحنوطٌ من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيءُ ملكُ الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، فتخرج تسيلُ كما تسيلُ القطرةُ من فِيِّ السقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض».

﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ٣﴾ أي: وأُقسم بالملائكة التي تنزل من السماء إلى الأرض وتعرج من الأرض إلى السماء سابحةً في الهواء نزولا وصعودا.

﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ٤﴾ أي: فالملائكة التي سبقت غيرها إلى طاعة الله بلا تأخرٍ ولا تكاسل.

﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ٥﴾ أي: فالملائكة التي تدبر ما وكَّلها الله بتدبيره من أمر المخلوقات. كما قال تعالى: ﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ٤﴾ [الذاريات:٤]، فقد وكل الله بعض الملائكة عليهم السلام بأشياء يدبرونها بأمره، فوكل جبريلَ بإنزال الوحي على الأنبياء، ووكل ميكائيل بالمطر، ووكل بعض الملائكة بالأجنة في بطون الأمهات، ووكل بعضهم بكتابة الأعمال، ووكل ملك الموت بقبض الأرواح، ووكل بعض الملائكة بعذاب القبر، وجعل ملائكةً خزنةً لجهنم، إلى غير ذلك من الأمور التي يدبرونها بإذن الله ومشيئته.

﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ٦﴾ أي: اذكر يوم تُزلزلُ الأرضُ عند النفخة الأولى فيموتُ جميعُ الأحياء.

﴿تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ٧﴾ أي: تتبعُ النفخةَ الأولى النفخةُ الثانية التي يبعث الله فيها جميعَ الخلق بعد موتهم. كما قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨﴾ [الزمر:٦٨].

﴿قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ٨ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ٩﴾ أي: قلوبُ الكفار والعصاة يوم القيامة شديدةُ الخوف والاضطراب، وأبصارُهم ذليلةٌ من شدة الأهوال.

﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ ١١﴾ أي: يقول المكذبون بالبعث: أئنا بعد موتنا سيُرجعنا اللهُ أحياء كما كنا في الدنيا؟! أئذا صرنا عظاما بالية مفتتة يحيينا الله؟! كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدًا ٤٩﴾ [الإسراء:٤٩].

﴿قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ ١٢﴾ أي: قال الكافرون تكذيبا بالبعث واستهزاء: تلك الرجعة إلى الحياة بعد الموت رجعةٌ باطلة، ولو حصلت فنحن خاسرون لتكذيبنا بالبعث.

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ١٤﴾ أي: فإنما يومُ القيامة صيحةٌ واحدة بلا تكرارٍ ولا تأكيد، يأمر الله الملَك أن ينفخ النفخة الثانية فإذا الناس قائمون أحياءً على أرض المحشر.

﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ١٥﴾ أي: هل سمعت - أيها الإنسان - خبرَ النبي موسى عليه الصلاة والسلام؟

﴿إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ١٦﴾ أي: حين نادى موسى ربُّه سبحانه بالواد المبارك المطهَّر المسمى طوى بجانب جبل الطور في سيناء.

﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ١٧﴾ أي: قال الله لموسى: اذهب إلى فرعونَ ملكِ مصر؛ لأنه تجاوز حده في الكفر وكثرة الظلم والمعاصي.

﴿فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ١٨﴾ أي: فقل - يا موسى - لفرعون: هل لك إلى أن تطهر نفسك من الكفر والمعاصي، وتؤمنَ بالله وتطيعَه؟

﴿وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ١٩﴾ أي: وهل لك - يا فرعون - أن أُرشِدك إلى عبادة خالقك ورازقك فتخشى عذابه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه؟

﴿فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ٢٠﴾ أي: فأرى موسى فرعون المعجزة الكبرى الدالة على صدقه، وهي عصاه التي تحولت بقدرة الله ثعبانا مبينا، ويدُه التي أخرجها بيضاء للناظرين!

﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ٢١﴾ أي: فكذَّب فرعون بالحق الذي جاء به موسى، وعصى ما أمره الله من طاعته.

﴿ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ٢٢﴾ أي: ثم تولى فرعون عن طاعة الله واتِّباع موسى، مجتهدا في صد الناس عن اتباع الحق.

﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٤﴾ أي: فجمع فرعون قومه فرفع صوته مخاطبا لهم فقال: أنا ربكم الأعلى، لا أحد فوقي، وكلُ ربٍّ دوني!

﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ۝٢٥﴾ أي: فعاقب الله فرعون عقوبة الآخرة في نار جهنم، وعقوبةَ الدنيا بالغرق. وقال بعض المفسرين: الأُولى حين قال فرعون: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص:٣٨]، والآخرة حين قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٤﴾ [النازعات:٢٤]، فعاقبه الله بكلمتيه الأولى والثانية، وهذا القول محتمل، والقول الأول أظهر، والله أعلم.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةً لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ۝٢٦﴾ أي: إن في قصة موسى وفرعون، وعقوبة الله فرعون وقومه بالغرق في الدنيا عظةً لمن يخافُ عذابَ الله.

﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ﴾ أي: هل أنتم - أيها المكذبون بالبعث - أقوى خلقا أو السماء أقوى منكم؟ فالقادر على خلق السماء وهي أعظم منكم قادرٌ على إحيائكم بعد موتكم. كما قال تعالى: ﴿أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٨١ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾ [يس:٨١-٨٢].

﴿بَنَىٰهَا ۝٢٧﴾ أي: بنى الله السماء ورفعها فوق الأرض بقدرته.

﴿رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ۝٢٨﴾ أي: رفع الله بناء السماء عاليا عن الأرض فأتقن بناءها، وجعلها مستوية لا شقوقَ فيها، ولا ارتفاعَ أو انخفاضَ في جوانبها.

﴿وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا﴾ أي: وأظلم الله السماء بعد غروب الشمس.

﴿وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ٢٩﴾ أي: وأظهر الله نور السماء بعد طلوع الشمس. نسب الليل والضحى إلى السماء لأنها ظاهران منها وفيها.

﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ٣٠﴾ أي: والأرض بعد خلق السماء بسطها الله، وأخرج منافعها للعباد من الماء والنبات. قال المفسرون: خلق الله الأرض أولا، ثم خلق السماء، ثم بعد أن خلق السماء بسط الأرض لتكون صالحة لعيش الإنسان، وأخرج منها ماءها ومرعاها. كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ﴾ [البقرة:٢٩].

﴿أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ٣١﴾ أي: أخرج الله من الأرض البحار والأنهار وعيون الماء، وأنبت نباتها مما يأكله الناس والدواب.

﴿وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا ٣٢﴾ أي: والجبال ثبّتها الله في الأرض لئلا تضطرب بأهلها.

﴿مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ٣٣﴾ أي: منفعةً لكم - أيها الناس - ولأنعامكم من الإبل والبقر والغنم. كما قال تعالى: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٣٦﴾ [البقرة:٣٦].

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ٣٤﴾ أي: فإذا جاءت المصيبة العظمى، وهي يوم القيامة. كما قال تعالى: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ٤٦﴾ [القمر:٤٦].

﴿يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ٣٥﴾ أي: يوم القيامة يتذكر كل إنسان ما عمل في الدنيا من خير أو شر.

﴿وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ٣٦﴾ أي: وأُظهرت نارُ جهنم لجميع الناس فيرونها بأعينهم. كما قال تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ٧﴾ [التكاثر:٦-٧].

﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ٣٧﴾ أي: فأما من جاوز حده بالكفر والمعاصي.

﴿وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ٣٨﴾ أي: وقدَّم وفضَّل متاع الحياةِ الدنيا على الآخرة، فعمل لدنياه ولم يعمل لآخرته.

﴿فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٣٩﴾ أي: فإن نار جهنمَ مستقرُه يوم القيامة، لطغيانه، وإيثاره الدنيا الفانية على الآخرة الباقية.

﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ أي: وأما من خاف مقامه بين يدي الله للحساب والجزاء يوم القيامة، فاتقى الله بفعل أوامره، واجتناب نواهيه.

﴿وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ٤٠﴾ أي: ونهى نفسه عن الشهوات المحرمة، وصبَّرها على طاعة الله.

﴿فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٤١﴾ أي: فإن الجنة مستقَرُه يوم القيامة؛ لخوفه في الدنيا من الله، ونهيِه نفسه عن هواها.

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ٤٢﴾ أي: يسألك - أيها الرسول - المكذبون بالبعث عن القيامة متى وقتُ قيامها؟

﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ ٤٣﴾ أي: في أي شيء أنت من ذكر وقت قيام الساعة؟ فلا فائدة من السؤال عن وقتها، فلا يعلم وقتَها إلا الله وحده.

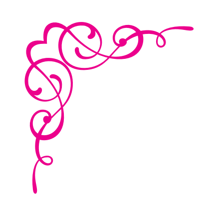
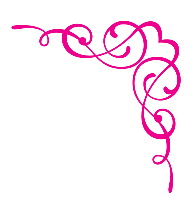


﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾﴾ أي: إلى ربك وحده منتهى علمِ وقت القيامة. كما قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف:١٨٧].

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ﴿٤٥﴾﴾ أي: إنما أنت - أيها الرسول - تحذر الناسَ عذاب الله، فينتفعُ بإنذارك من يخافُ عذاب يوم القيامة.

﴿كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ أي: كأن الكافرين يوم يُبعثون من قبورهم ويرون أهوال القيامة لم يعيشوا في الدنيا إلا قدر آخر النهار أو أول النهار؛ لقِصَر مدة الدنيا، وطولِ الآخرة التي لا نهاية لها. كما قال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ [يونس:٤٥].



تدبر سورة عبس

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

هذه السورة لها سبب نزول: وهو أن النبي ﷺ كان يدعو بعض كفار قريش إلى الإسلام، فجاء رجل أعمى، يطلب من النبي ﷺ أن يعلمه القرآن، والنبي عليه الصلاة والسلام مشغول بذلك الرجل الكافر الذي يحرص على إسلامه، فمن حسن أخلاق النبي ﷺ أنه لم ينهر الأعمى، وإنما عبس بوجهه الكريم وأعرض عنه انشغالا بغيره، فعاتبه الله بهذه الآيات:

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢﴾ أي: قطَّب وجهُ النبي عليه الصلاة والسلام إظهارا للكراهية، وأعرض بوجهه وبدنه عن الرجل الأعمى إلى من كان مشغولا بدعوته من صناديد قريش، والرجل الأعمى هو ابن أم مكتوم رضي الله عنه بإجماع المفسرين.

﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣﴾أي: وما يدريك - أيها الرسول - لعل هذا الأعمى يتزكى بما يسمع منك من القرآن، فيتطهرُ من الذنوب والأخلاق السيئة، ويتحلى بأحسن الأخلاق، ويزدادُ علما نافعا وعملا صالحا؟

﴿أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤﴾ أي: وما يدريك لعل هذا الأعمى يتعظُ حين يسمع القرآن فتنفعُه الموعظة، ويعملُ بعلمه؟

﴿أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦﴾ أي: أما من استغنى بمالِه عن عبادة الله وعن سماع كتابه فأنت تتعرض له بالدعوة، وتُقبل عليه بوجهك، رجاء أن يهتدي إلى الإسلام!

﴿وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧﴾ يعني: وأي شيء عليك أن لا يتطهر من الكفر والمعاصي؟! فلا تبالِ بالكافر المتكبر. كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا﴾ [آل عمران:١٧٦]. وقال سبحانه: ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓ﴾ [لقمان:٢٣].

﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩﴾ أي: وأما الرجل الأعمى الذي جاءك يمشي سريعا لحرصه على سماع القرآن وتعلم الدين، في حال كونه يخاف الله.

﴿فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾ أي: فأنت عن هذا الأعمى الحريص على الخير تتشاغل بدعوة غيره!

﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ۝١١﴾ أي: لا تنشغل بعد هذه الموعظةِ عن كل من يأتيك حريصا على تعلم دينه، إن آياتِ القرآنِ موعظةٌ لجميع الناس، تذكرهم ما ينفعُهم في دينهم ودنياهم. وفي هذا موعظة من الله لنبيه ولكل واحد من أمته ألا يخص بالدعوة إلى الله أحدا، بل يعم بتبليغِ القرآن وتعليمِه الشريفَ والضعيف، والغنيَ والفقير، والرجالَ والنساء، والكبارَ والصغار، ثم الله يهدي من يشاء.

﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢﴾ أي: فمن شاء من الناس اتعظ بهذا القرآن وتدبره، وعمل بما فيه، فقد بيّن الله فيه الهدى. كما قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ

فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٩]. وقال عز وجل: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾﴾ [المزمل:١٩].

﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾﴾ أي: القرآن مكتوب في صحف في السماء، معظمةٌ عند الله وملائكته.

﴿مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾﴾ أي: الصحف التي في السماء المكتوب فيها القرآن مرفوعة المكانة والقدر، مطهرة من كل دنس ونقص وتحريف وخطأ، ولا تنالها الشياطين. كما قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج:٢١-٢٢].

﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ أي: الصحف المكتوب فيها القرآن في السماء بأيدي ملائكةٍ يتلون القرآن، وهم وسطاءُ بين الله وأنبيائه بالوحي، وهم كرامٌ عند الله، كاملي الخلْق والأخلاق، كثيري العبادة لله سبحانه. كما قال تعالى: ﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾﴾ [الصافات:٣]. وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة:٧٧-٧٩]، وهم الملائكة الذين في السماء، وهكذا ينبغي للمسلم أن يعظم المصحف فلا يمسُّه إلا وهو طاهر.

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ أي: لُعِنَ الإنسان الكافر ما أشد كفرَه بالله الذي خلقه! فغالب الناس كفروا بالله منذ أقدم عصور التاريخ، وتفشى الكفرُ بين أفراد الأمم، وانتصروا له، وحاربوا من يدعوهم إلى توحيد الله وطاعته وتحكيم شرعه، وهذا تعجيبٌ من شدة كفر الإنسان، فكفرُه شديد، فهو يكفرُ

بوحدانية الله، وبقدرته على بعث عباده يوم القيامة، وبإرساله الرسل، وبالوحي الذي أنزله على رسله، وهو كفرٌ قويٌ لا يقبل الكافرُ الرجوعَ عنه، مع تكررِ التذكيرِ والإنذارِ والتهديد، إلا من وفقهم الله للتوبة إلى الإسلام.

﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ١٨﴾ يعني: من أي شيءٍ ضعيفٍ حقيرٍ خلق الله الإنسانَ حتى كفر بربه، وتكبرَ عن عبادته؟! فليتفكر الإنسان من أي شيء خلقه الله، فقد خلقه من المني الحقير. كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ٢٠﴾ [المرسلات:٢٠].

﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ١٩﴾ أي: من نطفة منيٍّ خلق الله الإنسان، فقدَّره في بطن أمه أحوالا، نطفةً ثم علقة ثم مضغة، إلى أن تم خلقَه بشرا سويا. كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ١٢ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ١٤﴾ [المؤمنون:١٢-١٤].

﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ٢٠﴾ أي: ثم سهل الله للجنينِ طريق الخروج من بطن أمه بقدرته، وبين للإنسانِ طريق الحق بما أنزل من كتبه، وأرسل من رسله. ففي هذه الآية قولان لأهل العلم، كلاهما صحيح، فالله يسر للإنسانِ الخروجَ من بطن أمه، وبين له طريقَ الحق، وسهل عليه عملَه.

﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ٢١﴾ أي: ثم قبض الله روح الإنسان بعد أن أحياه، وأمر الناسَ الأحياء أن يدفنوه بعد موته، فصيَّره ذا قبر إكراما له، ولم يجعله كسائر

الحيوانات التي تكون جِيَفُها ملقاة على وجه الأرض. وفي هذا دليل على وجوب دفن الموتى من الناس دون إحراقِهم بالنار كما يفعلُ كفارُ الهند.

﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾﴾ أي: ثم إذا شاء الله أن يبعث الإنسانَ المقبورَ أحياه يوم القيامة ليجازيَه على أعماله.

﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾﴾ أي: ليس الأمر كما يظن الإنسان من أنه قد أدى جميع ما أوجب الله عليه، بل لم يقمِ الإنسانُ بكل ما فرض الله عليه من فعل الطاعات، واجتناب المعاصي. ولذلك قال تعالى: ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت:٦]. وقال سبحانه: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦].

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾﴾ أي: فلينظر الإنسانُ المكذبُ بتوحيد الله وقدرتِه على بعث عباده إلى طعامِه متفكرا في كيفية خلقه، وتيسير أسبابِ حصوله.

﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾﴾ أي: أنا أنزلنا ماء المطر من السحاب إنزالا كثيرا.

﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾﴾ أي: ثم صدَّعنا الأرض فجعلناها شقوقا ليخرج منها النبات.

﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾﴾ أي: فأنبتنا في الأرض أنواعَ الحبوب كالقمح والشعير والذرة والأرز وغير ذلك.

﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾﴾ أي: وأنبتنا في الأرض أنواع الأعناب، والقضبَ الرطبَ الذي تأكله الأنعام والدواب.

﴿وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ٢٩﴾ أي: وأنبتنا في الأرض الزيتون الذي يؤكل ويُستخرج منه الزيت، وشجرَ النخيل الذي يُثمِر الرُّطَبَ والتمر، وينتفع الناسُ بسعفِه وجريده وليفه وجذوعه ونوى تمره.

﴿وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ٣٠﴾ أي: وأنبتنا في الأرض بساتين غليظةَ الأشجار، فيها أنواعُ الثمار.

﴿وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ٣١﴾ أي: وأنبتنا في الأرض أنواعَ الفواكه التي يأكلها الناس، والعشبَ والحشيش الذي تأكله البهائم.

﴿مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ٣٢﴾ أي: أنبت الله الحبوب والثمار التي يأكلها الناسُ والقضبَ والعشب الذي تأكله الدوابُ منفعةً لكم - أيها الناس - ولأنعامكم من الإبل والبقر والغنم.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ٣٣﴾ أي: فإذا قامتِ القيامةُ بشدة صوتها الذي تصم منه الآذان.

﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ٣٤﴾ أي: يوم تأتي القيامةُ يهربُ كل إنسانٍ من أخيه من شدة الأهوال.

﴿وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ٣٥﴾ أي: ويهرب كلُ إنسانٍ من أمه التي ولدته وربته وكانت في الدنيا تحن عليه، ومن أبيه الذي ينتسب إليه وكان يعطف عليه.

﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ٣٦﴾ أي: ويهرب كل إنسان من زوجته التي كانت ملازمةً له في الدنيا، ومن أبنائه الذين هم أحب الناس إليه، فلا يسألُهم عن أحوالهم، ولا ينفعُهم بشيء.

﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ٣٧﴾ أي: لكل إنسان من الأقارب يومَ القيامة أمرٌ عظيمٌ يُهمه، قد شغله عن النظر في أمر غيره. كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١﴾ [المؤمنون:١٠١].

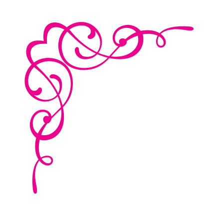
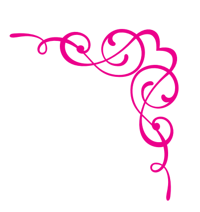
﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ٣٨﴾ أي: وجوه المؤمنين يوم القيامة مضيئةٌ مشرقة.

﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ٣٩﴾ أي: ضاحكةٌ من السرور لنجاتها من النار، مستبشرةٌ بدخول الجنة.

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ٤٠﴾ أي: ووجوه الكافرين يوم القيامة عليها غُبارٌ من تراب.

﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ٤١﴾ أي: تغشى وجوهَ الكافرين يوم القيامة سوادٌ كالدخان من شدة الكرب والخوف.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ٤٢﴾ أي: أولئك الذين تسود وجوهُهم يومَ القيامة هم الكفرة الذين كانوا في الدنيا يكذبون بالحق، الفجرةُ الذين كانوا يعملون المعاصي.

تدبر سورة التكوير

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١﴾ أي: إذا الشمس جُمِع بعضها إلى بعض، وذهب نورُها. روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الشمس والقمر مكوران يوم القيامة». ويوم القيامة تكون الشمس في النار، كما قال تعالى: ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ۝٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ۝٢٣﴾ [الصافات:٢٢-٢٣]، فكل ما عبد من دون الله يُلقى في جهنم من الشمس والقمر والأصنام وغير ذلك؛ إغاظة لمن كان يعبده، وليعلم المشركون أن ما عبدوه لا ينفعهم، وهي لا تعذَّب بذلك، بل تكون عذابا لمن عبدها، وأما من عُبِد من الأنبياء والملائكة والصالحين فإنهم بعيدون عن النار كما قال تعالى: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ۝٩٨ لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٩٩ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ۝١٠٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ۝١٠١﴾ [الأنبياء:٩٨-١٠١].

﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ۝٢﴾ أي: وإذا النجوم تساقطت، ويعلمُ حينئذ المشركون الذين كانوا يعبدونها أنها لا تنفعهم.

﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ٣﴾ أي: وإذا الجبال سيرها الله عن وجه الأرض بعد قلعها من أماكنها، فتكون هباء. كما قال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ﴾ [الكهف:٤٧]. وقال سبحانه: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا ١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعٗا صَفۡصَفٗا ١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا وَلَآ أَمۡتٗا ١٠٧﴾ [طه:١٠٥-١٠٧]. وقال جل شأنه: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا ٢٠﴾ [النبأ:٢٠].

﴿وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ٤﴾ ﴿ٱلۡعِشَارُ﴾ جمع عُشَرَاء، وهي الناقة الحامل إذا بلغت عشرةَ أشهر لحملها، فقاربت أن تضعَ حملَها؛ لأن مدة حملها اثنا عشر شهرا، والعِشار أنفس أموال العرب، ومعنى: ﴿عُطِّلَتۡ﴾ أي: تُرِكت لا يُنتفع بها، هكذا فسر الآيةَ الصحابةُ والتابعون، وهم أعلم الأمةِ بتفسير كتاب الله، فالمعنى: وإذا النوقُ الحواملُ التي قاربت الولادةَ تركها أصحابُها، فلم ينتفعوا بها، ولا بأولادها وألبانِها، وانشغلوا عنها بسبب شدة أهوال يوم القيامة.

﴿وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ٥﴾ أي: وإذا الوحوش جُمِعت يوم القيامة، فيبعثها الله ليُري الناس كمال قدرته في بعث جميع خلقه حتى الحيوانات، ويريهم كمال عدله في الاقتصاص من بعضها لبعض، ثم يميتها ويجعلها ترابا. كما قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ٩٤ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ٩٥﴾ [مريم:٩٣-٩٥]. وقال سبحانه: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ٣٨﴾ [الأنعام:٣٨]. وقال عز وجل:

﴿وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ۝٤٠﴾ [النبأ:٤٠]. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقادَ للشاةِ الجلحاء من الشاة القرناء».

﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ۝٦﴾ أي: وإذا البحار فاضت وانفجر بعضها على بعض، وصارت بحرا واحدا ملتهبا. كما قال تعالى: ﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ۝٦﴾ [الطور:٦]. وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ۝٣﴾ [الانفطار:٣].

﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ۝٧﴾ أي: وإذا قُرِن الناس بأمثالهم في الدين والأعمال، فيُجمع المسلمون مع المسلمين، واليهودُ مع اليهود، والنصارى مع النصارى، وكل أصحاب عمل صالح أو سيء مع أشباههم. كما قال تعالى: ﴿وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ ۝٧ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ۝٨ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠﴾ [الواقعة:٧-١٠]. وقال بعض المفسرين: المعنى: الأرواح ترجع إلى الأجساد، وهو معنى صحيح يحتمله لفظُ الآية، فالأجساد تخرج من القبور، وترجع إليها أرواحها، فيكون الإنسان يوم القيامة بجسده وروحه.

﴿وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ۝٩﴾ أي: وإذا البنت المدفونة في التراب وهي حية سئلت توبيخا وتقريعا لقاتلها عن سبب قتلها وهي لم تعمل ذنبا! وقد كان بعض العرب في الجاهلية يدفن بنته وهي حية كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ ۝٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ۝٥٩﴾ [النحل:٥٨-

٥٩]. ومن الوأد الإجهاض، وهو إسقاط الجنين، فلا يجوز إسقاط ما في بطن الأم وإن كان نطفة، قال الله سبحانه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الإسراء:٣١].

﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾﴾ أي: وإذا صحف أعمالِ الناسِ فتُحت يوم القيامة، فيأخذ كل إنسان كتابه بيمينه أو شماله؛ ليقرأ ما فيها من أعماله خيرها وشرها، كبيرها وصغيرها. كما قال تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء:١٣-١٤].

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾﴾ أي: وإذا السماء نُزِعت من مكانها وقُلِعت كما يُقلع السقف.

﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾﴾ أي: وإذا نار جهنم أُوقِد عليها فأُحميت لأهلها، وزاد لهبُها اشتعالا.

﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾﴾ أي: وإذا الجنة قُرِّبت لأهلها المتقين.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾ أي: إذا وقعت هذه الأمور علمت وتيقنت كل نفس ما أحضرت للحساب من أعمالها. كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران:٣٠].

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥﴾ أي: فأُقسِم بالنجوم العظيمة التي تختفي عن أعين الناس في النهار، وترجع في مجراها حتى تظهرَ للناس من جهة المشرق في الليلة الأخرى كما طلعت في الليلة الأولى.

﴿ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ۝١٦﴾ أي: النجومِ التي تجري ليلا في السماء من المشرق إلى المغرب، وتستترُ عن أعين الناس عند مغيبها.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۝١٧﴾ أي: وأُقسم بالليل إذا أدبر بظلامه.

﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨﴾ أي: وأُقسم بالصبح إذا أقبل بنوره شيئا فشيئا حتى تطلعَ الشمس.

﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝١٩﴾ أي: إن هذا القرآن ينزله على محمدٍ رسولٌ كريم عند الله، كاملُ الخلْق والأخلاق، وهو جبريل عليه السلام. كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ۝١٩٥﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٥].

﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ۝٢٠﴾ أي: جبريلَ صاحبِ قوةٍ عظيمةٍ على فعل ما يأمره الله به، له عند الله صاحبِ العرش مكانةٌ عالية، فهو أفضل الملائكة.

﴿مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ۝٢١﴾ أي: جبريلَ مطاعٍ هناك في السماء، تُطيعُه الملائكة، أمينٌ عند الله على ما ائتمنه عليه، ومن ذلك تبليغُه الوحي إلى الأنبياء بلا زيادةٍ ولا نقصانٍ ولا كِتمان.

﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾﴾ يقول الله لكفار قريش: وما نبيكم محمدٌ الذي تعرفون صدقه وأمانته بمجنونٍ كما تزعمون، بل جاءكم بالحق الواضح، وهو أكمل الناس عقلا.

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ أي: ولقد رأى محمدٌ جبريلَ في صورته التي خلقها الله عليها في السماء من جهة المشرق التي تُرى الأشياءُ منه بوضوح. كما قال تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ [النجم:٥-١٥]، قال العلماء: رأى النبي عليه الصلاة والسلام جبريلَ على صورته التي خلقه الله عليها مرتين فقط، المرةُ الأولى رآه النبيُ في مكة، في أفق السماء، والمرة الأخرى رآه ليلة المعراج عند سدرة المنتهى في السماء السابعة، وكان يراه وهو على صورة رجل أو يسمع صوتَه ولا يرى صورتَه. روى البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح.

﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ أي: وما رسول الله ببخيلٍ على الناس بالقرآن الذي يخبر بالمغيبات، بل كان يبلغ جميع الناس القرآن من غير أن يطلب منهم مالا على تلاوته عليهم وتبليغه. كما قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنعام:٩٠].

﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ٢٥﴾ أي: وما القرآن بقول شيطانٍ ملعونٍ مطرودٍ من رحمة الله، بل هو كلامُ الله أنزله على رسوله محمدٍ بواسطة جبريل، ولم ينزله عليه شيطانٌ كما يزعم المشركون. قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ٢١٠ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ٢١١ إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ ٢١٢﴾ [الشعراء:٢١٠-٢١٢].

﴿فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ٢٦﴾ أي: فأين تذهبون - أيها المشركون - عن هذا القرآن إلى غيره مع وضوح الحق في القرآن بدلائله؟ وإلى أي طريق تذهب عقولكم في تكذيبكم بالقرآن وادعاءِ الباطل فيه؟!

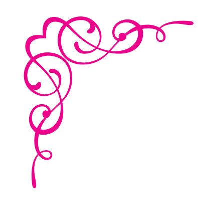
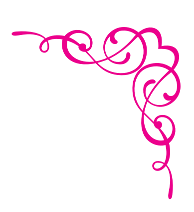
﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٢٧﴾ أي: ما هذا القرآنُ إلا عظةٌ من الله لجميع الإنس والجن، يتذكرون به ما ينفعهم في دينهم ودنياهم.

﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨﴾ أي: القرآن موعظة من الله لمن شاء منكم - أيها الإنس والجن - أن يستقيم على الحق، فمن أراد الهداية فعليه أن يتدبر القرآن ليهتديَ به. كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢﴾ [البقرة:٢].

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾ أي: وما تقدرون أن تستقيموا على الحق إلا أن يشاءَ اللهُ ربُ كلِّ شيءٍ أن يهديكم. كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ٢١٣﴾ [البقرة:٢١٣]. وقال سبحانه: ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ٥٥ وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [المدثر:٥٥-٥٦]. وقال عز وجل: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ٢٩ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٣٠ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ٣١﴾ [الإنسان:٢٩-٣١]. وفي هذا إعلامٌ بأن الإنسان لا يستطيعُ أن يهتديَ ولا

أن يعملَ خيرا إلا بتوفيق الله له، فالقلوب بيد الله، وعلى المسلم أن يكثر من سؤال الله الهداية، ولا حول لنا على التحول من شر إلى خير، ولا قوة لنا على فعل الخير إلا بالله. اللهم اهدنا الصراط المستقيم، وحبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، واهدنا لأحسن الأعمال والأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت.



تدبر سورة الانفطار

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ١﴾ أي: إذا السماء انشقت يوم القيامة.

﴿وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ٢﴾ أي: وإذا الكواكب تساقطت.

﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ٣﴾ أي: وإذا البحار فجَّر الله بعضها على بعض، مالحَها وعذبَها، فصارت كلها بحرا واحدا ممتلئا، وتلتهب لهبا عظيما كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ٦﴾ [التكوير:٦].

﴿وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ٤﴾ أي: وإذا القبور أُثيرت، وأُخرج ما في بطنها من الأموات، وأحياهم الله بقدرته للحساب والجزاء.

﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ٥﴾ أي: إذا وقعت هذه الأمور علمت حينئذ كلُ نفس بجميع أعمالِها، أولِها وآخرِها، خيرِها وشرِها، ما عملت من خير وما ضيعته فلم تعمله، ما قدَّمت في حياتها وما أخَّرت إلى بعد موتها، من سنة حسنة أو سيئة، فهذه المعاني كلها تدخل في هذه الآية كما قال تعالى: ﴿يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ١٣﴾ [القيامة:١٣].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦﴾ أي: يا أيها الإنسان الكافر والعاصي أيُّ شيءٍ غرك بربك حتى كفرت به وعصيته وتركت طاعته وشكره، وهو الكريم الذي خلقك من العدم، وأنعم عليك بنعمه الظاهرة والباطنة؟!

﴿ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧﴾ أي: الذي خلقك من نطفة، فسوَّى خلقك وأتقنه بقدرته، فجعلك معتدلَ القامة، تامَ الخلق، متناسبَ الأعضاء.

﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ٨﴾ أي: خلقك الله - أيها الإنسان - في أي صورة شاء الله أن تكون عليها، من ذكورة وأنوثة، ومقدارِ حُسن، وتعيين لونٍ، وفي أي شبهٍ ببعض أقاربك، فخلقك كما يشاءُ هو، لا كما تشاءُ أنت، وأوجدك في المكان والزمان الذي اختار أن يختبرك فيه، فكل شيء بمشيئته سبحانه.

﴿كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ٩﴾ كلا تأتي بمعنى حقا، وتأتي بمعنى الردع والزجر، وهي هنا تصلح للمعنيين، والدين يأتي بمعنى الحساب، ويأتي بمعنى الشرع، وهو هنا يصلح للمعنيين. ومعنى الآية: لا تغتروا بكرم الله مع شرككم ومعاصيكم، فلستم على الحق كما تزعمون، بل لا تزالون تُكذِّبون بالبعث بعد الموت للحساب، وتكذبون بدين الإسلام!

﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠﴾ أي: وإن عليكم - أيها الناس - ملائكة يكتبون ما يصدر منكم من أعمال ليحاسبكم الله عليها يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ١٣ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ١٤﴾ [الإسراء:١٣-١٤].

﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾﴾ أي: في حال كون الملائكة الذين يحفظون أعمالكم كراما على الله، كريمي الأخلاق لا يظلمونكم، كاتبين لأعمالكم.

﴿يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ أي: يعلم الملائكة الموكلين بكتابة أعمالكم كل ما تفعلون من خير أو شر، فهم يكتبون جميع أعمالكم القوليةِ والفعليةِ والقلبية، فالله يطلعهم على أعمالكم الظاهرة والباطنة ليكتبوها لكم وعليكم.

﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ﴿١٣﴾﴾ أي: إن الذين أطاعوا الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه، وأحسنوا إلى والديهم وسائرِ الناس وعمومِ الخلق؛ لفي نعيمِ الجنة.

﴿وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ﴿١٤﴾﴾ أي: وإن الذين كفروا وعصوا الله فقصَّروا في حقوقِ الله وحقوقِ عباده لفي نارِ جهنم.

﴿يَصۡلَوۡنَهَا يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾﴾ أي: يدخل الفجار نار جهنم يوم الحساب والجزاء، وهو يوم القيامة.

﴿وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾﴾ أي: وما الكفار بخارجين أبدا من الجحيم، بل هم فيها خالدون أبدا. كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿٦٥﴾﴾ [الأحزاب:٦٤-٦٥].

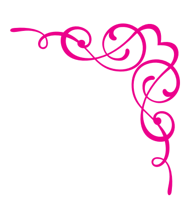
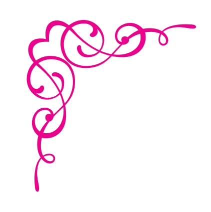
﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾﴾ أي: وما عرَّفَك - أيها الإنسان - بحقيقةِ صفةِ القيامةِ وأهوالِها؟!

﴿ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾﴾ أي: ثم ما عرَّفَك – أيها الإنسان - بحقيقة صفة القيامة وأهوالها؟!

﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ﴾ أي: يوم القيامة لا تغني نفسٌ عن نفسٍ شيئا بأن تدفع عنها شيئا من العذاب أو تنفعَها بخير، فكل إنسان يوم القيامة مشغول بنفسه. كما قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ٣٦ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ٣٧﴾ [عبس:٣٤-٣٧].

﴿وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ١٩﴾ أي: الملك والتصرف يوم القيامة لله وحده، فهو الذي يحاسب الخلائق، ويجازيهم على أعمالهم.



تدبر سورة المطففين

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١﴾ أي: عذابٌ شديد وهلاكٌ ثابتٌ يوم القيامة للذين يُنقِصون شيئا يسيرا من الكيل أو الوزن، ولا يؤدون حقوق الناس كاملة وافية. وفي هذه الآية تحذيرٌ من أكل أموال الناس بالباطل، فالعدلُ في معاملة الناس أمرٌ عظيم أكده الله في كتابه، وتوعد من طفف شيئا يسيرا من حقوق الناس بالغش ونحوه بالعذاب الشديد، فكيف بالذي يظلم الناس بأخذ الأموال الكثيرة منهم بغير حق غصبا أو سرقة أو احتيالا؟! فعذابه أشد.

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢﴾ أي: الذين إذا كالوا لأنفسهم حين يشترون من الناس يستوفون حقهم كاملا بلا نقص.

﴿وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣﴾ أي: وإذا كالوا للناس أو وزنوا لهم حين يبيعون لهم ما يكال أو يوزن ينقصونهم حقهم.

﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥﴾ أي: ألا يعلم أولئك المطففون في الكيل والميزان أنهم بعد موتهم مبعوثون من قبورهم ليوم القيامة العظيم الأهوال، فيحاسبهم الله ويجازيهم على ظلمهم الناس؟!

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ أي: يُبعث الناس من قبورهم أحياء قياما لله رب العالمين، فيحاسبهم ويجازيهم على أعمالهم. وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يعرقُ الناسُ يوم القيامة حتى يذهبَ عرقُهم في الأرض سبعين ذراعا، ويُلجمهم حتى يبلغَ آذانَهم». وفي صحيح مسلمٍ عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تُدنى الشمسُ يوم القيامة من الخلق، حتى تكونَ منهم كمقدارِ ميل، فيكونُ الناسُ على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم مَنْ يكونُ إلى كعبيه، ومنهم مَنْ يكون إلى ركبتيه، ومنهم مَنْ يكون إلى حَقويه، ومنهم مَنْ يُلجمه العرق إلجاما».

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧﴾ أي: حقا إن كتاب أعمال الفجار من الكفار والمنافقين والفسقة في مكان ضيق في الأرض السابعة، ثم يكون مصيرهم جهنم. روى أحمد في مسنده عن البراء بن عازب رضي الله عنهما في حديثه الطويل في قبض روح المؤمن والكافر، وفيه أن النبي ﷺ قال: «فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فتُطرح روحه طرحا».

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨﴾ أي: وما أدراك - أيها الإنسان - أي شيء سِجِّين الموضوع فيه كتاب أعمال الفجار؟! فهو غاية في الضيق والسُّفل والقبح.

﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩﴾ أي: الكتاب الذي في سِجِّين محفوظة فيه أعمال جميع الفجار بأسمائهم، فهو كتاب مكتوب لا يُمحى ولا يُبدَّل، ولا يزاد فيه أحد، ولا ينقص منه أحد.كما قال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ۝١٢﴾

[يس:١٢]. وقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد:١٩]. فالله يعلم متقلبَ العبادِ في حياتهم، ويعلمُ مثواهم بعد موتهم، ويعلمُ كلَّ شيء من الماضي والمستقبل بالتفصيل، ويعلم أهلَ الجنة وأهلَ النار من الأولين والآخرين، وكتب ذلك كلَّه، فقد أحاط بكل شيء علما، وأحصى كل شيء عددا، سبحانه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٠﴾ أي: عذابٌ وهلاكٌ يوم القيامة في جهنم للمكذبين بالقرآن وبالبعث بعد الموت.

﴿ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ١١﴾ أي: الذين يكذبون في الدنيا بالبعث والحساب يوم القيامة.

﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ١٢﴾ أي: وما يكذب بيوم القيامة إلا كل معتد على حدود الله، ظالمٍ للناس بلسانه ويده، كثيرِ الآثام.

﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣﴾ أي: إذا تُقرأ على الكافر آياتُ القرآنِ ليؤمنَ بها قال منكرا كونَها من عند الله: هذه أكاذيب الأولين وخرافاتِهم التي سطروها في كتبهم.

﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤﴾ أي: ليس القرآن أساطير الأولين كما يزعم المكذبون بالقرآن، ولكن غطَّى على قلوبهم ما كانوا يعملون من الذنوب المتتابعة، حتى اسودت قلوبُهم، فلم تعرفِ الحقَّ مع وضوحه. كما قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلۡنَا

عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾ [الكهف:٥٧]. فالذنوب لها آثار سيئة على القلوب، وإذا كثرت الذنوب وتتابعت يعمى القلبُ فيموت، فلا يعرف الحق من الباطل، كما في صحيح مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ».

﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ أي: حقا إن المكذبين عن ربهم يوم القيامة لمحجوبون لا يرونه حين يراه المؤمنون، ولا يصل إليهم شيء من كرامته ورحمته. وفي هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرون الله يوم القيامة، وإنما يُحجب عن رؤيته الكافرون، قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]. ورؤية المؤمنين لله سبحانه هي رؤيةٌ من غير إدراكٍ وإحاطة، فالله أعظمُ من أن يحيط به شيء، كما قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام:١٠٣]، فالسماء مثلا نراها ولا ندركها بأبصارنا لعِظَمِها، وكذلك المؤمنون يرون الله العظيم من غير أن يدركوه بأبصارهم، فهو أكبر من كل شيء سبحانه وتعالى.

﴿ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ ١٦﴾ أي: ثم إن المكذبين بالقرآن والبعثِ مع حرمانهم رؤية الله لداخلو نار جهنم يوم القيامة، فيحترقون فيها، ولا يخرجون منها أبدا.

﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ١٧﴾ أي: ثم تقول خزنة جهنم للكفار: هذا عذاب النار الذي كنتم في الدنيا تكذبون به، فذوقوه الآن في الآخرة.

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ١٨﴾ أي: حقا إن كتاب أعمال الأبرار في مكانٍ عالٍ في السماء السابعة، ثم يكون مصيرهم الجنة. وفي الحديث المشهور عن البراء بن عازب رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «فيصعدون بروح المؤمن، فلا يمرون بها على ملإ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيُفتح لهم، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى يُنتهى به إلى السماء السابعة، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى».

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ١٩﴾ أي: وما أدراك - أيها الإنسان - أي شيء عِلِّيُّونَ الموضوع فيه كتاب أعمال الأبرار؟! فهو غاية في السعة والعلو والحُسن.

﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ٢٠﴾ أي: الكتاب الذي في عِلِّيِّين محفوظة فيه أعمال الأبرار بأسمائهم، في كتاب مكتوب لا يُمحى ولا يُبدَّل، ولا يزاد فيه أحد، ولا ينقص منه أحد. وهذه الآية فيها إثبات القدر، فقد علم الله أهل الجنة وأهل النار، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، والقدر سر الله في خلقه، فيجب الإيمان به، ففيه إثبات

كمال علم الله سبحانه، ولا يجوز الاحتجاج بالقدر على الكفر والمعاصي أو على ترك الإيمان والعمل الصالح، فقد جعل الله لكل إنسان قدرة واختيارا، وأمرنا أن نعمل الخير، ونترك الشر.

﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝٢١﴾ أي: يطَّلع على ما في الكتاب الذي في عِلِّيِّين الملائكة المقربون عند الله.

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝٢٢﴾ أي: إن الذين أطاعوا الله لفي نعيم الجنة الدائم.

﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٢٣﴾ الأرائك جمع أريكة، وهي السرير الذي عليه قبةٌ من ثيابٍ رقيقة، فالمعنى: الأبرار متكئون على السرر المغطاة بالستائر، ينظرون إلى الحور العين، وينظرون إلى وجه الله الكريم، وإلى ما أعطاهم من النعيم. كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ۝٥٥ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ۝٥٦ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ۝٥٧﴾ [يس:٥٥-٥٧].

﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ۝٢٤﴾ أي: تعرف - أيها الناظر - في وجوه الأبرار أثرَ النعمة والسرور الظاهر، من البياض والحسن والنور.

﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝٢٥﴾ أي: يسقي خدمُ الجنة الأبرارَ من خمرٍ صافيةٍ، مغطاةٍ نظيفةٍ لا كدر فيها. كما قال تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝١٨ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ۝١٩﴾ [الواقعة:١٧-١٩].

﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ أي: آخر الخمر التي يشربها الأبرار مسكٌ طيب الرائحة.



﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦﴾ أي: وفي نعيم الجنة فليجتهد المتسابقون في طلبه بطاعة الله، وليسارعوا فيه حرصا على الفوز به. كما قال تعالى: ﴿لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ ٦١﴾ [الصافات:٦١].

﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ٢٧﴾ أي: ومزاج خمر الجنة الصافي من عينٍ عاليةٍ اسمها تسنيم، ينزل شرابها من أعلى الجنة.

﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ٢٨﴾ أي: شراب تسنيم عينٌ جاريةٌ يرتوي بها المقربون السابقون الذين هم أعلى أهل الجنة درجة، فهي عندهم خالصة، وتُمزج في شراب الأبرار الذين هم دونهم في الدرجة.

قال العلماء: تسنيم أعلى أشربة الجنة، اسمها مأخوذٌ من السنام، كسنام البعير الذي هو أعلى شيء فيه، فأخبر الله أن أهل الجنة متفاوتون في الدرجات، فالأبرار يشربون من التسنيم بمزجها في شرابهم، والمقربون يشربون منها صرفا بلا مزج. قال الله تعالى: ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا ٢١﴾ [الإسراء:٢١]. وقال سبحانه: ﴿وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ ٧ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ٨ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ١٢﴾ [الواقعة:٧-١٢].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ٢٩﴾ أي: إن الذين كفروا واكتسبوا المعاصي كانوا في الدنيا يضحكون من المؤمنين استهزاء بهم.

﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ٣٠﴾ أي: وإذا مر المؤمنون في طريقهم بالمجرمين يتغامز المجرمون بأعينهم احتقارا لهم.

﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ٣١﴾ أي: وإذا انصرف المجرمون من مجالسهم إلى أهلهم في بيوتهم انصرفوا ناعمين من غير شكر لله، معجبين بما هم عليه من الكفر والمعاصي، متفكهين عند نسائهم وأولادهم بذم المؤمنين.

﴿وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ٣٢﴾ أي: وإذا رأى المجرمون المؤمنين قالوا: إن هؤلاء لضالون عن الحق، لانشغالهم بعبادة الله، وتركهم شهوات الدنيا، وتصديقهم بالبعث بعد الموت.

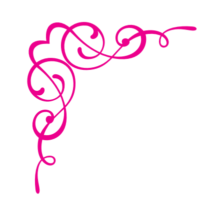
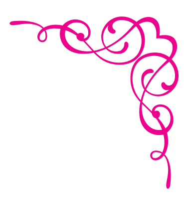
﴿وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ٣٣﴾ أي: ولم يوكِّل الله الكفار على المؤمنين ليحفظوا أعمالهم، وينشغلوا بمراقبتهم، ويحكموا عليهم بالضلال.

﴿فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ٣٤﴾ أي: ففي يوم القيامة يضحك المؤمنون من الكفار حين يرونهم يعذبون في جهنم، كما كان الكفار يضحكون منهم في الدنيا.

﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٣٥﴾ أي: المؤمنون في الجنة على السرر المغطاة ينظرون إلى الكافرين وهم يُعذَّبون في جهنم، وينظرون إلى وجه الله الكريم، وينظرون إلى ما أعطاهم في الجنة من النعيم العظيم.

﴿هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٣٦﴾ أي: هل جوزي الكفار على ما كانوا يفعلون في الدنيا من الضحك والاستهزاء بالمؤمنين حين يعذبهم الله في النار؟ الجواب: نعم، ففي الآخرة يضحك المؤمنون من الكافرين، ويستهزئون بهم.



تدبر سورة الانشقاق

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ١﴾ أي: إذا السماء انفطرت يوم القيامة، وصارت شقوقا وأبوابا. كما قال تعالى: ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ١٦﴾ [الحاقة:١٦]. وقال سبحانه: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ١٩﴾ [النبأ:١٩]. وقال عز وجل: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ١﴾ [الانفطار:١]. فالسماء بناءٌ محكم، وليست السماءُ فضاءً كما يظن كثيرٌ من الناس، إنما الفضاءُ بين السماء والأرض، وهي سبعُ سماواتٍ شداد، والسماءُ الأولى هي السماءُ الدنيا التي تحيط بالأرض من جميع جهاتها، وجميعُ النجوم زينةٌ لها، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا﴾ [الملك:٣]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [الملك:٥]، فالسماء يوم القيامة تنشق وتنفطر كما أخبر الله في كتابه.

﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ٢﴾ أي: واستمعت السماء لأمر ربها وأطاعته في انشقاقها، وحُق لها أن تُطيعه، فهو العظيم الذي قهر كل شيء.

﴿وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ٣﴾ أي: وإذا الأرض بسطها الله يوم القيامة، ودك جبالها، ومدها حتى تسعَ أهلَ الموقف جميعا من الأولين والآخرين. كما قال تعالى: ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم:٤٨]. وقال سبحانه: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ

عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا ١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعٗا صَفۡصَفٗا ١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا وَلَآ أَمۡتٗا ١٠٧﴾ [طه:١٠٥-١٠٧].

﴿وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ٤﴾ أي: وألقت الأرض ما في بطنها من جميع الأموات، وتخلت عنهم، ولم تُبقِ منهم أحدا، لا كبيرا ولا صغيرا، ولا ذكرا ولا أنثى، ولا مسلما ولا كافرا. كما قال تعالى: ﴿وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ٢﴾ [الزلزلة:٢].

﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ٥﴾ أي: واستمعت الأرض لأمر ربها وأطاعته في تمددها وإخراج ما في بطنها، وحُق لها أن تطيعه، فهو العظيم الذي قهر كل شيء.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ٦﴾ أي: يا أيها الإنسان إنك عاملٌ عملا تجتهد فيه من خير أو شر وتنتهي إلى ربك بعد موتك، فتلقى ربك، وتلقى أعمالك مكتوبة في كتابك، ويجازيك الله بالجنة أو النار، فأين المفر؟ فإلى الله المستقر. فهذا خطاب من الله لكل واحد منا، فأنت أيها الإنسان تسير مسرعا إلى ربك؛ لأن عمرك ينقضي بسرعة، وفي كل لحظة تقطع شيئا من عمرك القصير، وكلما طال عمرك اقتربَ أجلُك، ثم تلاقي ربَك وتلاقي عملك. كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ٤٢﴾ [النجم:٤٢]. وقال سبحانه: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨﴾ [آل عمران:٢٨].

﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ٧﴾ أي: فأما المؤمن الذي أُعطي كتابَ أعمالِه بيده اليمنى.

﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ أي: فسوف يحاسبه الله يوم القيامة حسابا سهلا، بأن تُعرض عليه سيئاتُه المكتوبةُ بلا مناقشة ولا إطالة في الحساب، ويغفر الله له ذنوبه ويتجاوز عنه؛ لأن خيره أكثرُ من شره، وحسناتِه أعظمُ من سيئاته. كما قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِ﴾ [الأحقاف:١٦]. وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «مَنْ حُوسِب عُذِّب»، فقلت: أوليس يقول الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾؟! فقال: «إنما ذلك العرض، ولكن مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ يَهْلِكْ». وفي الصحيحين أيضا عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يُدني المؤمن، فيضع عليه كنَفَه ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلك، قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيُعطى كتابَ حسناته».

﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ﴿٩﴾﴾ أي: ويرجع المؤمن الذي حاسبه الله حسابا يسيرا إلى أهله في الجنة من الحور العين وأقاربه المؤمنين من أهل الدنيا فرحان بمغفرة الله له، ونجاته من النار، وبما أعطاه الله من النعيم. كما قال تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ﴾ [الرعد:٢٣].

﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ١٠﴾ أي: وأما الكافر الذي أُعطي كتابَ أعماله بيده اليسرى من خلف ظهره. كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ٢٥﴾ [الحاقة:٢٥].

﴿فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورًا ١١﴾ أي: فسوف ينادي على نفسه بالهلاك والخسران، مما يرى في كتابه من السيئات.

﴿وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ١٢﴾ أي: ويدخل نار جهنم فيحترق فيها.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ١٣﴾ أي: يُعذَّب الكافر في جهنم لأنه كان في أهله في الدنيا مسرورا بالكفر والمعاصي واتباع هواه، وكان لا يفكر في عاقبةِ أعماله السيئة، ولا يخاف عذابَ الآخرة.

﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ١٤﴾ أي: إن هذا الكافر ظن في الدنيا أنه لن يرجع إلى ربه بعد موته ليحاسبه ويجازيه على أعماله. كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ ٣٢﴾ [الجاثية:٣٢].

﴿بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرٗا ١٥﴾ أي: بلى ليبعثنَّه الله حيا بعد موته، إن رب هذا الكافر كان به في الدنيا بصيرا منذ خلقه، لا يخفى عليه كفره ومعاصيه، وسيجازيه على أعماله.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ١٦﴾ الشفق هو الحمرة التي تكون في السماء بعد غروب الشمس، ولا في قوله: ﴿فَلَآ﴾ صلة للتأكيد، وليست نفيا، فالمعنى: فأُقسم بالحمرة التي تكون في الأفق بعد غروب الشمس.

﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ١٧﴾ أي: وأُقسم بالليل وما جمع من إنسان ودابة ونجم.

﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ١٨﴾ أي: وأُقسم بالقمر إذا تم نورُه واستدار منتصف الشهر، في الليالي البيض، وهي ليلةُ ثلاثَ عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة من كل شهر هجري.

﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ١٩﴾ أي: لتركبن - أيها الناس - أحوالا مختلفة، حالا بعد حال، في خلقكم صغارا ثم شبابا ثم شيوخا، وفي أحوالكم المختلفة في الدنيا من صحةٍ ومرض، وغنى وفقر، وسرورٍ وحُزن، وفي أحوالكم المتعددة في الآخرة، حيث تموتون ثم تُبعثون، وتلقون من شدائد القيامة أحوالا، ثم تُجازون بأعمالكم، ولا تبقون على حال واحدة أبدا، لا في الدنيا ولا في الآخرة. فأقسم الله بالشفق والقمر إذا اكتمل نورُه والليل وما فيه على أن دوام الحال من المحال، فلا أحدَ يبقى على حال واحدة أبدا، فلا بد أن تتغير عليه الأحوال بأمر الله، وهذا يدل على كمال قدرة الله، وضعفِ المخلوق الذي لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا إلا بإذن الله. وما أحسن قول الشاعر:

ثمانيةٌ تجري على الناسِ كُلِّهِمُ=ولا بد للإنسانِ يلقى الثمانيه

سرورٌ وحزنٌ واجتماعٌ وفرقةٌ=ويُسرٌ وعُسرٌ ثم سُقْمٌ وعافيه

وتأمل حالك الآن، تجده غير ما كنت عليه قبل عشرِ سنين مثلا، وبعد عشر سنين إن أحياك الله لن تكون على هذه الحال التي أنت عليها الآن، وكذلك حال جميعِ الناس، فلا أحد يبقى على حال واحدة، سواء كان ملكا أو رئيسا أو عزيزا أو ذليلا أو غنيا أو فقيرا أو مؤمنا أو كافرا، فسبحان الله الذي يدبر خلقه كما يشاء بقدرته وحكمته، ونسأل الله أن يصلح أحوالنا، وأن يعز المسلمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

﴿فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٠﴾ أي: فما يمنع الكافرين من الإيمان بالله وكتابه والله هو المتصرف في خلقه كيف يشاء؟!

﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ ۩ ٢١﴾ أي: وما للكافرين إذا قرئ عليهم القرآن ليؤمنوا به لا يسجدون لله تعظيما له، ولا يُصلَّون لله طاعة له، ولا يخضعون لأوامره ونواهيه؟!

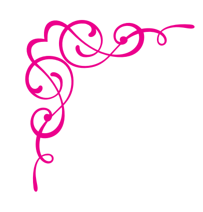
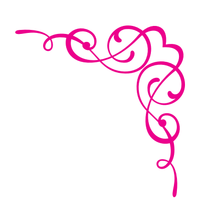
﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ٢٢﴾ أي: بل الذين كفروا عادتهم المستمرة التكذيبُ بالقرآن، ولا يصدقون بالحق الذي جاء من عند الله.

﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ٢٣﴾ أي: والله أعلم بما يجمع الكافرون في صدورهم من التكذيب والكِبر، وما يجمعون من الآثام الظاهرة والخفية، وسيجازيهم عليها.

﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢٤﴾ أي: فبشِّر الكافرين بعذابٍ موجعٍ في نار جهنم بسبب تكذيبهم بالقرآن.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ ۝٢٥﴾ أي: لكن الذين صدقوا بتوحيد الله وكتابِه ورسولِه محمدٍ عليه الصلاة والسلام، وأدوا الفرائض واجتنبوا المحرمات، لهم أجرٌ في الجنة دائمٌ غيرُ مقطوع.



تدبر سورة البروج

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١﴾ أي: أُقسم بالسماء التي فيها النجوم العظيمةُ المنتظمة في سيرها، وفيها منازلُ سير الشمس والقمر. كما قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ۝٦١﴾ [الفرقان:٦١].

﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢﴾ أي: وأُقسم بيوم القيامة الذي وعدتُ عبادي أن أبعثهم فيه؛ لأحاسبهم وأجازيهم على أعمالهم.

﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣﴾ قال أكثر المفسرين رحمهم الله: الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة، وهو تفسير صحيح، والظاهر العموم لكل شاهد، ولكل مشهود، فالمعنى: وأُقسم بكل شاهد يشهد على غيره كيوم الجمعة يشهد بأعمال الناس فيه، وكالنبي محمدٍ عليه الصلاة والسلام يشهد على أمته يوم القيامة، وأُقسم بكل مشهود يحضره الناس ويشهدونه كيوم عرفة الذي يجتمع فيه الحُجَّاج من كل فج عميق وتشهده أيضا الملائكة، وكيومِ القيامة يحضره جميع الخلق.

﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤﴾ أي: لُعِن الكفرة الذين حفروا في الأرض شَقا عظيما مستطيلا كالخندق، وحرَّقوا فيه المؤمنين والمؤمنات. وقد ذكر المفسرون والمؤرخون أن هذه قصة وقعت قبل بعثة النبي محمد عليه الصلاة والسلام، وهي أن ملكا كافرا كان في اليمن خد أخدودا للمسلمين الذي كانوا على شريعة عيسى

عليه الصلاة والسلام، وكانوا في نجران، فخيرهم بين الكفر أو الإحراق بالنار، فحرَّق من لم يكفر منهم في الأخدود.

﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥﴾ أي: النارِ ذاتِ الحطبِ الكثيرِ الذي كان في الأخدود مشتعلا.

﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦﴾ أي: لُعِن الكفار حين كانوا قاعدين على حافَة الأخدودِ، ينظرون إلى المؤمنين وهم يحترقون.

﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧﴾ أي: وأولئك الكفار حضور عند الأخدود الذي يُحرِّقون فيه المؤمنين الذين لم يرجعوا عن دينهم، ويشاهدون احتراقهم في النار بلا رحمةٍ لهم.

﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨﴾ أي: وما عاب الكفار على المؤمنين والمؤمنات شيئا إلا إيمانَهم بالله القوي في انتقامه، القاهر لأعدائه، المحمود في صفاته وشرعه وقدره.

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: الله الذي له سلطان السماواتِ السبعِ والأرضِ وما فيهن من الخلق، فهو المتصرف وحده في عباده كيف يشاء.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩﴾ أي: والله على كل شيء من أفعال عباده وأقوالهم مطَّلعٌ ببصره وسمعه وعلمه، فلا يخفى عليه إحراقُ الكافرين للمؤمنين في الأخدود، وسيجازيهم على أعمالهم. والشهيد من أسماء الله الحسنى، ومعناه:

الحاضر الذي يشاهد كل شيء، فلا يغيب بسمعه وبصره وعلمه، فهو مطلع على كل شيء، وهو أيضا الذي يشهد بالحق سبحانه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ۝١٠﴾ أي: إن الذين عذَّبوا المؤمنين والمؤمنات ليصدوهم عن دينهم ثم لم يتب أولئك الكفار مما فعلوا بالمؤمنين والمؤمنات فلهم عذابُ جهنمَ في الآخرة، ولهم عذابُ الحريقِ في البرزخ. وهذه الآية تدل على إثبات عذاب القبر، وقد أشار إلى ذلك ابن عاشور رحمه الله في تفسيره، فعذابُ جهنم في الآخرة، وعذابُ الحريق في البرزخ، فالأصل الفرق بين العذابين المذكورين، وبدأ في الآية بعذاب جهنم لأنه أشدُ وأبقى.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٌ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ أي: إن الذين آمنوا وعملوا الأعمال الصالحة لهم بساتينُ تجري من تحت أشجارها الأنهار.

﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ۝١١﴾ أي: دخول المؤمنين الجنة هو الفوز العظيم الذي لا فوز أعظم منه، وإن قُتِلوا وعُذِّبوا في الدنيا، فهم الفائزون في الآخرة، والذين قتلوهم وعذبوهم هم الخاسرون.

﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢﴾ أي: إن انتقام ربك من الكفرة والظلمة لقوي عظيم.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ١٣﴾ أي: إن الله وحده يُبدئ جميع المخلوقات من العدم ثم بعد موتها يُعيدها بقدرته خلقا جديدا يوم القيامة. كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ١١﴾ [الروم:١١].

﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤﴾ أي: وهو الغفور للتائبين، المحبُ عباده الصالحين.

﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ١٥﴾ أي: اللهُ صاحب العرش، المجيد أي: الكريمُ العظيمُ، الواسعُ الصفات سبحانه.

﴿فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ١٦﴾ أي: الله فعَّال في خلقه ما يشاء، لا يمنعه مانع من فعل ما يشاء، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ١٧﴾ أي: هل سمعتَ - أيها الإنسانُ - خبرَ الجنودِ الذين بطش اللهُ بهم فأهلكهم لكفرهم؟

﴿فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ ١٨﴾ أي: فرعون وقومَه الذين كذبوا نبيهم موسى، وأمةَ ثمودَ الذين كذبوا نبيهم صالحا.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ١٩﴾ أي: بل الذين كفروا من اليهود والنصارى والمجوس والمشركين عادتُهم المستمرةُ التكذيبُ بالقرآن، ولا يصدقون بالحق الذي جاء من عند الله.

﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ٢٠﴾ أي: والله مطَّلعٌ على أعمال الكافرين، وسيجازيهم عليها، وهو قادرٌ على عذابهم في الدنيا والآخرة. والمحيط من أسماء الله الحسنى، ومعناه: الذي أحاطت قدرتُه بجميع خلقه، وأحاط بكل شيء علما.

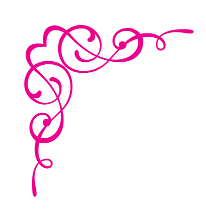
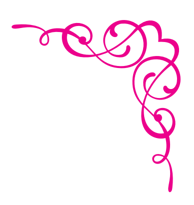


وفي هذه السورةِ عشرةُ أسماء من الأسماء الحسنى: الله الرحمن الرحيم العزيز الحميد الشهيد الغفور الودود المجيد المحيط.

﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١﴾ أي: ليس القرآن شعرا ولا سحرا ولا كلام بشرٍ كما يزعم الكافرون، بل هو قرآنٌ مجيد أي: كريم، عظيم القدر في ألفاظه ومعانيه وهداياته، كامل الصفات، كثير البركات.

﴿فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ٢٢﴾ أي: القرآن الكريم مكتوبٌ في لوح محفوظ من التغيير ومن وصول الشياطين إليه، فهو سالم من الزيادة والنقصان، والتحريف والتبديل.



تدبر سورة الطارق

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١﴾ أي: أُقسِم بالسماء وأُقسم بالنجوم التي تظهر ليلا، وتختفي نهارا.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢﴾ يعني: وأيُّ شيء أدراك - أيها الإنسان - ما الطارق الذي عظَّمتُه بالقسم به؟!

﴿ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣﴾ أي: الطارق هو النجم المضيء. والمراد بالنجم جنس النجوم لا نجمٌ معين.

﴿إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ۝٤﴾ أي: ما من نفسِ إنسانٍ مكلَّفٍ إلا عليه ملائكةٌ حفظةٌ يكتبون أعماله خيرها وشرها. كما قال تعالى: ﴿إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ۝١٧ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ۝١٨﴾ [ق:١٧-١٨]. وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ۝١٢﴾ [الانفطار:١٠-١٢].

﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥﴾ أي: فلينظر الإنسان متفكرا من أي شيء خلقه الله؟ فالذي ابتدأ خلقه من نطفةِ منيٍّ قادرٌ على بعثه بعد موته.

﴿خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ٦﴾ أي: خلق الله الإنسان من المني الضعيف الذي يتدفقُ وينصَبُّ في رحم المرأة. كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ٤٥ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ٤٦﴾ [النجم:٤٥-٤٦].

﴿يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ٧﴾ الصلب هو عمود الظهر، والترائب هي عظام الصدر، والمعنى: يَخرج المنيُ الذي خلق اللهُ منه الإنسانَ من بينِ عمودِ ظهرِ الرجل وعظامِ صدره. وقال بعض المفسرين: المراد: من بين صلبِ الرجل، وترائبِ المرأة، والله أعلم.

﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ٨﴾ أي: إن الله على رجع الإنسان حيا بعد موته لقادر.

﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ٩﴾ أي: إن الله يُرجع الإنسانَ حيًا بعد موته يوم تُختبر سرائرُ الناس، فيَظهرُ ما كانوا يخفونه في قلوبهم من خير وشر، ويجازون على ما يستحقونه من الثواب والعقاب. كما قال تعالى: ﴿۞ أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ١٠﴾ [العاديات:٩-١٠].

﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ ١٠﴾ أي: فما للإنسان يوم القيامة قوةٌ ينتصر بها بنفسه من عذاب الله، ولا ناصرٌ له من غيره ينصرُه ويخلصُه من عذاب الله، فلا يُنقِذُ الإنسانُ نفسَه يوم القيامة من عذاب الله، ولا يُنقذه غيرُه إلا أن يرحمه الله. كما قال تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ١٩﴾ [الانفطار:١٩].

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ١١﴾ أي: أُقسِم بالسماء التي ترجع بالمطر كل عام.

﴿وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ١٢﴾ أي: وأُقسِم بالأرض التي تتشقق بالنبات. كما قال تعالى: ﴿أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ٢٥ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ٢٦﴾ [عبس:٢٥-٢٦].

﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ١٣﴾ أي: إن القرآن لقول حق، وهو يفصل بين الناس فيما اختلفوا فيه، أقسم الله بالسماء والأرض على أن القرآن كتابُ هدايةٍ وحكم. كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ﴾ [البقرة:٢١٣].

﴿وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ١٤﴾ أي: وليس القرآن باللعب والباطل، بل كله جِدٌّ، أخباره صادقة، وأحكامه عادلة.

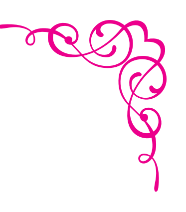
﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ١٥﴾ أي: إن الكافرين يكيدون بالإسلام والمسلمين كيدا عظيما بأقوالهم وأفعالهم ومخططاتهم؛ ليصدوا الناس عن اتباع الحق، ويُلحقوا الضرر بالمسلمين في دينهم ودنياهم.

﴿وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ١٦﴾ أي: وأنا أكيد كيدا عظيما بالكافرين، بإمهالهم واستدراجهم بالنعم حتى أهلكهم وهم على كفرهم ومعاصيهم، وأُظهر الحق على الباطل ولو بعد حين. فإذا حقق المسلمون الإيمان، واعتصموا بكتاب الله، وأطاعوا الله ورسوله، فإن الله يحفظهم من كيد الكافرين، وينصرهم على أعدائهم، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٧﴾ [الروم:٤٧]. وقال سبحانه: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ١٢٠﴾ [آل عمران:١٢٠]. أما إذا ضيع المسلمون شرع الله، ولم يتبعوا كتاب الله

ولا سنة رسوله، فإن الله يخذلهم، ولا يدفع عنهم كيد الكافرين، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ٧٣﴾ [الأنفال:٧٣]. وقال سبحانه: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣﴾ [النور:٦٣].

﴿فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ١٧﴾ أي: فانتظر انتقام الله من الكافرين، ولا تسألِ اللهَ أن يُعجِّل عقوبتهم؛ فإنه واقع بهم لا محالة في الوقت الذي قدره الله، أَمهِلهم زمنا قليلا إلى أن يأتيهم ما قدره الله عليهم من موتٍ لا يفلحون بعده أبدا أو عذابٍ يخزيهم في الدنيا، ولا تستعجلْ هلاكهم، فالأمر لله سبحانه. كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَعۡجَلۡ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمۡ عَدّٗا ٨٤﴾ [مريم:٨٤]. وقال سبحانه: ﴿نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ ٢٤﴾ [لقمان:٢٤].





تدبر سورة الأعلى



هذه السورة كان النبي ﷺ يحب أن يقرأها كثيرا، فكان يقرؤها كل ليلة في صلاة الوتر، وكان يقرؤها في صلاة الجمعة والعيدين، فلنتدبرْ ما فيها من المعاني العظيمة:

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ أي: نزِّه اسم ربِّك عن كل سوء، فإنه الخالق المالك المدبر كلَ شيء، المتصفُ بصفات الكمال، فاعبده وعظِّمه، واذكر اسمه الأعلى بقولك: سبحان ربي الأعلى.

والأمر للنبي ﷺ، ويدخل فيه أمتُه، فكل واحد منا مأمورٌ أن يسبح الله، والتسبيح: هو التنزيه عن النقائص، فيجب أن ننزه الله عما يصفه المشركون والجاهلون من الولد والصاحبة والشريك والنقص، كما قال الله: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠﴾ [الصافات:١٨٠]، وقال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٤٠﴾ [الروم:٤٠]، وحين يذكر الله بعض ما يصفه الجاهلون في كتابه يسبح نفسه، كقوله: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ﴾ [البقرة:١١٦].

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢﴾ أي: الذي خلق كل شيء من العدم فأتقن خلقه، وجعله في أحسن هيئةٍ تناسبه.

﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾ أي: والذي قدَّر مقادير الخلائق في ذواتها وصفاتها وأحوالها ومآلها، فهدى كلَ مخلوق لمصالحه، ويسَّر له تحصيلَ رزقِه وتدبيرَ مسكنه، وكيفيةَ منكحِه وتغذيةِ صِغاره. كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ [طه:٥٠]. والمتفكر في الحيوانات والطيور بمختلف أنواعِها يجدُ العجبَ العجاب في هداية الله لها في جميع مصالحها، ولو تكلمنا عن هداية الله للنحل أو النمل لطال الكلام بنا، فتكفي الإشارةُ عن الإطالة.

﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤﴾ أي: والذي أخرج من الأرض بقدرته أنواعَ النبات والحشيشَ الذي ترعاه الأنعام.

﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥﴾ أي: فجعل الله ذلك المرعى يابسا مسودًّا بعد أن كان أخضر رطبا.

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦﴾ هذه بشارة خاصة للنبي ﷺ، أي: سنُحفِّظك - أيها الرسول - القرآن، فلا تنساه بعد أن تسمعه من جبريل عليه السلام. وهذه من أعظم معجزات النبي، فقد كان يقرأ عليه جبريل ما يُنزله الله عليه من الوحي، وهو أُميٌّ لا يكتب ولا يقرأ، فيحفظه حفظا متقنا، ويبقى محفوظا في صدره لا ينساه أبدا، مع كونه لا يرجع إلى كتابٍ مكتوبٍ ليراجعَ ما حفظه!

﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ يعني: إلا ما شاء الله أن يُنسيك - أيها الرسول - من آيات القرآن التي ينسخها الله لِحكمةٍ بالغة. كما قال تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة:١٠٦]. فبعضُ الآيات والأحكامِ كانت ثابتة في أول الإسلام، ثم نسخها الله وأتى بخير منها أو مثلها، مثل استقبال بيت

المقدس في الصلاة، نسخه الله بالأمر باستقبال المسجد الحرام. فوعد الله رسوله أنه لا ينسى ما يُحفِّظه من القرآن إلا ما شاء الله أن ينسخه ويأتي بخير منه أو مثله.

﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ ۝٧﴾ أي: إن الله يعلم ما يُظهره الخلقُ من الأفعال والأقوال، وما يُخفونه من أعمالهم، وما يسرونه في صدورهم. ومن ذلك أن الله يعلم ما يصلح عباده، فشرع لهم ما يصلحهم في دينهم ودنياهم.

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٨﴾ أي: ونسهل لك - أيها الرسول - عمل الخير والدعوة إليه، ونجعل لك شريعة سهلة لا ضيق فيها أبدا. كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ [البقرة:١٨٥]. وقال سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾ [الحج:٧٨]. فالنبي ﷺ بعثه الله بالحنيفية السمحة، فالدين يسر، ولكنَّ كثيرا من الناس يوقعون أنفسهم أو غيرهم في الضيق والحرج بمخالفة شرع الله، وتركِ الاستقامةِ كما أمرهم الله، فمنهم من يغلو ويتنطع، ومنهم من يجفو ويتميع، ودينُ الله وسطٌ بين الغالي فيه، والجافي عنه.

﴿فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ۝٩﴾ أي: فعِظ جميعَ الناس مُسلمِهم وكافرِهم بكتاب الله، وبيِّن لهم عظمة الله، وخَوِّفْهم عذابه، إن نفعت الموعظةُ بعضَ من يسمعُها. كما قال تعالى: ﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ۝٤٥﴾ [ق:٤٥]. وقال سبحانه: ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٥٥﴾ [الذاريات:٥٥]. فقد أمر الله بتذكير كلِ أحد، فمن انتفع كان تذكره تاما نافعا، وإلا قامت عليه الحجة، وربما انتفع بالتذكير بعد مدة، أو انتفع بها غيرُه، وبعد أن يكرر الداعي إلى الله الذكرى تكريرا تقوم به

الحجة يكون مأمورا بالتذكير عند ظن الفائدة، فمن علم أنه مصرٌ على الكفر أو المعصية، فلا يجبُ عليه تكرير الذكرى له دائما. فلابد أولا من تذكيرِ جميعِ الناس بقدر الاستطاعة، ولابد من نشر العلمِ والدعوةِ إلى الله وبذل النصيحة للجميع، وهذا من الأخذ بالعزيمة، سواءً انتفع الناسُ أو لم ينتفعوا، ثم إن غلب على ظن العالم أو الداعية أن بعض الناس لا ينتفعون بالموعظة، ولا يستفيدون من العلم، فله أن يترك دعوتهم وتعليمهم أخذا بالرخصة.

﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ۝١٠﴾ أي: سيتعظُ من يخافُ الله، ويعلمُ عظمته، ويخافُ عذابَه في الدنيا والآخرة.

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى ۝١١﴾ أي: ولا ينتفعُ بالموعظةِ ويَبعُدُ عنها الكافرُ الأشقى.

﴿ٱلَّذِي يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ۝١٢﴾ أي: الذي يدخل نارَ جهنمَ العظمى. كما قال تعالى: ﴿فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ۝١٤ لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ۝١٥﴾ [الليل:١٤-١٥].

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ۝١٣﴾ أي: ثم لا يموت الكافرُ في جهنمَ فيستريحَ من عذابِها، ولا يحيا حياةً تنفعُه. كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ﴾ [النساء:٥٦].

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤﴾ أي: قد فاز بالنجاة من النار والخلودِ في الجنة من تطهرَ من الكفرِ والمعاصي والأخلاقِ السيئة، فآمن ووحَّد الله، وعمل الأعمالَ الصالحةَ التي منها ذكرُ الله والصلاةُ والزكاة. كما قال تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ

لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ [المؤمنون:١-٤]. وقال سبحانه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾﴾ [الشمس:٧-٩]. روى مسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقول: «اللهم آت نفسي تقواها، وزكِّها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها».

﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ أي: وذكر اسم الله بتسبيحِه وتحميدِه وتهليله وتكبيره واستغفاره، ودعاه وحدَه، فصلى الصلواتِ الخمسَ والنوافلَ مخلصا لله تعالى.

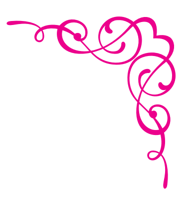
﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾﴾ أي: بل تُقدِّمون - أيها الناس - متاعَ الحياةِ الدنيا على ثوابِ الآخرة، وتهتمون بأمور دنياكم أكثرَ من اهتمامكم بأمورِ دينكم إلا من رحم الله. كما قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ [آل عمران:١٤]. قال ابن مسعود رضي الله عنه: (آثرنا الحياةَ الدنيا على الآخرة؛ لأنا رأينا زينتها وطعامها وشرابها، وغابت عنا الآخرة، فاخترنا العاجل على الآجل).

﴿وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾ أي: وثواب الله في الجنة أفضل لكم من متاع الدنيا القليل، وأدومُ لكم من الدنيا الفانية، فنعيمُ الجنةِ كاملٌ لا نقص فيه، أبديٌّ لا ينتهي. كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [القصص:٦٠]. روى مسلمٌ عن المستوردِ بن

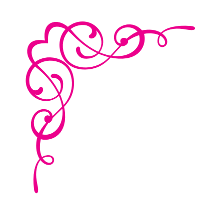
شدادٍ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثلُ ما يجعلُ أحدُكم إصبعَه هذه - وأشار بالسبابة - في اليم، فلينظرْ بم ترجِع؟!».

﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ الإشارة في قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ إلى الآيات الأربعِ الأخيرة، أي: إن ما أخبرتُكم في هذه السورة من فلاح من زكى نفسه، وذكرَ اسم ربه فصلى، وإيثارِ الناسِ الدنيا على الآخرة، وأن الجنةَ خير وأبقى؛ مذكورٌ بمعناه في الكتب السابقة المنزَّلة قبل القرآن، في الصحف المنزلة على إبراهيم وموسى عليهما الصلاة والسلام.





تدبر سورة الغاشية



﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ۝١﴾ الخطاب لكل إنسان، أي: هل وصلك خبرُ القيامة التي تغشى الناسَ والكونَ بأهوالها؟! فمن أسماء يوم القيامة الغاشية، عظمه الله وحذره عباده، ومن أسماء يوم القيامة أيضا: يومُ التلاق، ويومُ الخروج، ويوم التناد، ويوم الدِّين، واليوم الحق، والطامة الكبرى، والصاخة، والآزفة، والحاقة، والقارعة.

﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢﴾ أي: وجوه الكافرين يوم القيامة ذليلةٌ، متغيرةُ اللون من شدة العذاب والخوف.

﴿عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ۝٣ تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةٗ ۝٤﴾ في هذه الآيةِ ثلاثةُ أقوالٍ للعلماء كلها صحيحة:

القول الأول: عاملةٌ تاعبةٌ بالعذاب يوم القيامة، فيُكلَّفون ما لا يُطيقون، ويُعذَّبون في النار عذابا شديدا لا يخفف عنهم، فهم يسحبون في النار، ويأكلون الزقوم، ويشربون الحميم، وغيرُ ذلك من أنواع العذاب الأليم.

القول الثاني: عاملةٌ تاعبةٌ في الدنيا بالعبادات الباطلة كعُبَّاد النصارى وغيرِهم ممن يعبدون الله بما لم يشرعه، فهم يتعبون أنفسَهم بعبادات لا يقبلها الله، ويكون مصيرُهم في الآخرة نارَ جهنم.

القول الثالث: عاملةٌ تاعبةٌ بأمور الدنيا من جمع الأموال، وفعل المعاصي والشهوات بكد وتعب، ثم في الآخرة تصلى نار جهنم الحامية، فلا تنفعهم أموالهم يوم القيامة، وتذهب عنهم تلك اللذاتُ المحرمة، ويبقى عليهم عذابُها في الآخرة.

فهذه ثلاثة معان كلها صحيحة، وقد دلت عليها نصوص كثيرة:

قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود:١٥-١٦]. وقال سبحانه: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان:٢٣]. وقال عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة:٣٤-٣٥]. وقال تبارك وتعالى: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ وَٱلسَّلَـٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [غافر:٧١-٧٢]. وفي الصحيحين عن سعيد بن زيد رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «من أخذ شبرا من الأرض ظلما، فإنه يُطوَّقه يوم القيامة من سبع أرضين». وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما من

صاحب إبل، ولا بقر، ولا غنم، لا يؤدي حقها، إلا أُقعِد لها يوم القيامة بقاعٍ قرقر، تطؤه ذات الظلف بظلفها، وتنطحه ذات القرن بقرنها». وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣﴾ قال: (هم النصارى).

فمعنى الآية: عاملة تاعبة في الدنيا بالمعاصي واتِّباع الشهوات، أو بالعبادات الباطلة، وعاملة تاعبة في الآخرة بالعذاب الشديد في المحشر ثم يُدخلها الله نارا حامية.

﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥﴾ أي: يُسقى الكفار في جهنم من عينِ ماءٍ بلغت الغايةَ في شدةِ الحرارة والغليان. كما قال تعالى: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ۝١٥﴾ [محمد:١٥].

﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦﴾ أي: ليس للكفار طعام في جهنم إلا شوكا يابسا ساما. قال المفسرون: الضريع شوك سام يابس، وأهل النار لهم أنواع من الطعام يعذبون بأكله، ففي وقتٍ لا يأكلون إلا الضريع، وفي وقتٍ لا يأكلون إلا الغِسلين، وفي وقتٍ لا يأكلون إلا الزَّقُّوم.

﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ۝٧﴾ أي: لا يسمن الضريع بدن من يأكلُه من أهل النار، ولا يدفع عنه شيئا من ألم الجوع.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨﴾ أي: وجوه المؤمنين يوم القيامة فيها أثر النعمة والسرور.

﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩﴾ أي: لما عملته في الدنيا من الأعمال الصالحة راضية، حين وجدت ثوابَه العظيمَ في الجنة.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠﴾ أي: في بستانٍ عالِ المكان والقدر، مرتفعِ القصورِ والغرف.

﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ۝١١﴾ أي: لا تسمع في الجنة أي كلمةِ لغوٍ لا فائدةَ في سماعها، من الباطل والكذب والسب وغير ذلك.

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢﴾ أي: في الجنة عيونٌ متدفقةٌ من الماء وأنواع الأشربة. كما قال تعالى: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد:١٥].

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣﴾ أي: في الجنة أسرةٌ عاليةُ القدر في حسن فِراشِها ولِينه، وفي ارتفاعِ محلِّها؛ ليرى المؤمنُ الجالسُ عليها ما حوله من النعيم العظيم.

﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤﴾ أي: وفي الجنة أكوابٌ ممتلئةٌ بأنواع الأشربة، موضوعةٌ في أماكنهم، ومعدةٌ على حافَة الأنهارِ الجاريةِ لمن يشتهي الشربَ بها.

﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥﴾ أي: وفي الجنة وسائدُ مرتبةٌ أحسنُ ترتيب، كلُ وسادةٍ بجانبِ الأخرى في صفٍّ واحد، معدةٌ للجلوس والاتكاءِ عليها.

﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۝١٦﴾ أي: وفي الجنة فُرُشٌ كثيرةٌ كاملةُ الحسن، مبسوطةٌ ومفرقةٌ في المجالس؛ للزينة والجلوس عليها.

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧﴾ أي: أفلا ينظر الناسُ متفكرين إلى الجِمَال كيف خلقها الله؛ ليستدلوا بخلقها العجيبِ وأحوالِها الغريبة على كمال قدرة الله وحكمته، فيؤمنوا بالبعث بعد الموت، ويوحدوا الله سبحانه؟! والإبل تتميز عن غيرها من الحيوانات بأشياءَ كثيرة، منها: أنها تُقتنى لمنافعَ كثيرةٍ لا تجتمع في غيرها، فتُقتنى ليُؤكَلَ لحمُها، وليُشرب لبنُها، ولتَحمِلَ الإنسانَ في أسفاره، ولتحمل أمتعتَه في سفره وحضره، وفيها زينةٌ وجمالٌ وغنى لأصحابها. ومنها: أنها مع قوتها تنقادُ للإنسان ولو كان صبيا، ومنها: أنها يُحمل عليها وهي باركةٌ ثم تقومُ بحملها الثقيل، ومنها: أنها تأكل الشوك ولا يضرُها، ومنها: أنها تتحمل العطش والسير في الرمال، ومنها: أنها حين تمشي تُقدمُ يدَها ورجلَها اليمنى في وقتٍ واحد، ثم تقدم يدَها ورجلَها اليسرى في وقت واحد، بخلاف جميع الحيوانات التي تمشي بتقديم يدِها اليمنى ورجلِها اليسرى، ثم يدِها اليسرى ورجلِها اليمنى، وفي الإبل أشياءُ كثيرةٌ عجيبةٌ.

﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨﴾ أي: وألا ينظر الناس متفكرين إلى السماء كيف رفعها الله فوق الأرض بمسافةٍ عظيمة، ورفع ما فيها من الشمس والقمر والنجوم بلا عَمَد بقدرته؟! فالسماء الدنيا تحيط بالكرة الأرضية من جميع جهاتها، فأينما كنت في الأرض فهي فوقَك، كما قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦﴾ [ق:٦] أي: ليس فيها شقوق ولا عيوب.

﴿وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ١٩﴾ أي: وألا ينظر الناس متفكرين إلى الجبال العظيمة كيف نصبها الله، وجعلها راسخة لا تزول عن أماكنها بقدرته؟!

﴿وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ٢٠﴾ أي: وألا ينظر الناس متفكرين إلى الأرض كيف بسطها الله ووسَّعها، وسهَّل منافعها؛ ليستقر الخلقُ عليها، ويتمكنَ الناسُ من السير والبناء عليها، والحفرِ فيها، وحرثِها وغرسِها؟! كما قال تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ [ق:٧]. ولا ينافي جعلُ الأرضِ مسطحة كونَها كُروية، فالأرض سطحها واسعٌ ليستقر عليها الخلقُ وينتفعوا بها، فلو كانت كلها صخورا وجبالا فلن يتمكن الناس من الانتفاع بها، فمن رحمة الله أن ذللها لعباده، وسطحها بقدرته، وقد ذكر غير واحد من علماء المسلمين القدامى أن الأرض كروية كالعلامةِ ابن حزم، ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية الاتفاق على أن الأرض كرويةُ الشكل.

﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١﴾ أي: فعِظ - أيها الرسولُ - جميع الناس بالقرآن، وخوفهم عذاب الله، إنما أنت واعظ، بعثك الله لدعوة الناس إلى الله. كما قال تعالى: ﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ٤٥﴾ [ق:٤٥]. وأمرُ الله لرسولِه أمرٌ لأمته، فعلى المسلمِ أن يعظَ وينصحَ من يستطيعُ من الناس، ولو أهله وأصدقاءه، وأن يبلغهم ولو آية من كتاب الله، قال الله تعالى: ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٥﴾ [الذاريات:٥٥].

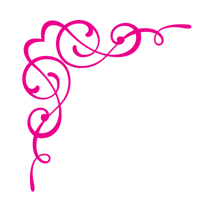
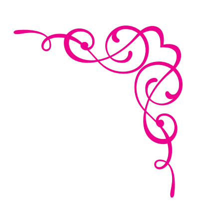
﴿لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ٢٢﴾ أي: لست على الناس بمتسلطٍ تجبرهم على الإيمان والعمل الصالح، إنما عليك التذكير والبلاغ، وحسابهم على الله. كما قال تعالى: ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة:٢٧٢].

﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ٢٣ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَكۡبَرَ ٢٤﴾ أي: لكن من أعرض عن طاعة الله، وكفر بالحق الذي جاء من عند الله، فيعذبه الله أشدَ العذابِ في جهنم. كما قال تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ٣١ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ٣٢﴾ [القيامة:٣١-٣٢]. وقال سبحانه: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ ١٢٧﴾ [طه:١٢٧].

﴿إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ٢٥﴾ أي: إن إلينا مرجع الناس بعد موتهم.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ٢٦﴾ أي: ثم إن علينا أن نحاسب الناس ونجازيهم على أعمالهم.



تدبر سورة الفجر

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿وَٱلۡفَجۡرِ ١﴾ أي: أُقسِم بالصبح الذي يأتي كل يوم من مشرق الشمس، وهو وقت صلاة الفجر.

كما قال تعالى: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ٣٤﴾ [المدثر:٣٤].

﴿وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ٢﴾ في تفسير الليالي العشر قولان مشهوران للمفسرين:

القول الأول: أنها العشر الأول من ذي الحجة، والقول الثاني: أنها العشر الأواخر من رمضان، وكلا القولين صحيح، وأكثر المفسرين على أن المعنى: وأُقسِم بالليالي العشر الأُوَل من شهر ذي الحجة.

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «ما العمل الصالح في أيام أفضل منها في هذه» - يعني في أيام العشر من ذي الحجة.

﴿وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ٣﴾ أي: وأُقسِم بالشفع وهو اليوم العاشر من ذي الحجة، وأُقسِم بالوتر وهو اليوم التاسع من ذي الحجة، وأُقسِم بكل شفع ووتر، ويدخل في ذلك الصلاةُ الشفعُ التي هي ركعتان أو أربع، والصلاة الوتر التي هي ثلاث ركعات أو ركعة.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ۝٤﴾ أي: وأُقسِم بالليل إذا انقضى شيئا فشيئا حتى يذهب كله.

كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ۝٣٣ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ۝٣٤﴾ [المدثر:٣٣-٣٤].

﴿هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ ۝٥﴾ أي: هل في قسم الله بالفجر وليالٍ عشرٍ والشفعِ والوترِ والليلِ إذا يسرِ كفايةٌ لذي عقل، فيتفكر في عظمة ما أقسم الله به، ويستدل بهذه الأشياء على توحيد الله وكمال قدرته؟!

﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦﴾ الخطاب عام، أي: ألم تعلم - أيها الإنسان - كيف انتقم الله من أمة عاد؟

﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ۝٧﴾ أي: أمة عاد التي يرجع نسبُها إلى جدها إرمَ بنِ سام بن نوح، وكانوا أصحابَ أبنيةٍ مرتفعةٍ بالأعمدة، وكانوا طوال الأجسام جدا.

﴿ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝٨﴾ أي: التي لم يخلقِ اللهُ مثل عادٍ في جميع الأرض، في عظم الأجسام، وطول القامة، وقوة الأبدان.

﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ۝٩﴾ أي: وألم تعلم - أيها الإنسان - كيف انتقم الله من أمة ثمود، الذين قطَّعوا الجبال والصخورَ العظيمةَ ونحتوها بيوتا في الأودية؟

﴿وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ۝١٠﴾ أي: وألم تعلم - أيها الإنسان - كيف انتقم الله من فرعون صاحبِ الجنودِ الذين قوَّوا أمره، وثبَّتوا ملكه؟ كما قال تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ۝١٧ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ ۝١٨﴾ [البروج:١٧-١٨].

﴿ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١١﴾ أي: عادٌ وثمودُ وفرعونُ وجنودُه جاوزوا الحد في الكفر والمعاصي وظلمِ الناس.

﴿فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ١٢﴾ أي: فأكثروا الفساد في الأرض بالكفر والمعاصي والظلم.

﴿فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ١٣﴾ أي: فأنزل الله على عادٍ وثمودَ وفرعونَ وقومِه عذابَه الشديدَ الذي فجأهم، وأحاط بهم بسرعة حتى هلكوا بأجمعهم.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ١٤﴾ أي: إن ربك - أيها الإنسان - يراقب أعمال الظالمين، يمهلهم قليلا ثم يجازيهم على أعمالهم بإدخالهم النار.

﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ١٥﴾ أي: فأما الإنسان إذا اختبره ربُه بالغنى فأكرمه بالمال ونعَّمه بسعة الرزق والصحة فيقول مفتخرا: ربي أكرمني بكثرة مالي؛ لأني مستحقٌّ لإكرامه، ولا يشكر الله على نعمه.

﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ١٦﴾ أي: وأما الإنسان إذا اختبره الله بالفقر فضيق عليه رزقه فيقول متضجرا: ربي أذلني بقلة مالي، ولا يصبر على الفقر، ولا يشكر الله على ما أعطاه من صحة وغيرها من النعم الظاهرة والباطنة.

﴿كَلَّا﴾ أي: ليس الأمر كما يظن الإنسان الجاهلُ أني أغنيه لكرامته عندي، وأفقره لهوانه عندي، بل أغني من أشاء ولو كان كافرا، وأفقر من أشاء ولو كان مؤمنا، ابتلاءً مني لعبادي بالغنى والفقر.

فالله يبتلي من يشاءُ بالغنى ليتبين هل يشكرُ أو لا يشكر، ويبتلي من يشاء بالفقر ليتبين هل يصبرُ أو لا يصبر. كما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء:٣٥]. والكريم عند الله هو التقي، سواء كان غنيا أو فقيرا، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣]. قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (إن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلا من يحب).

﴿بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ۝١٧﴾ أي: بل أنتم - أيها الناس - لا تكرمون اليتيم، فلا تُعطونه حقه من الميراث والصدقة وحسن المعاملة، وتهينونه مع أن الله قد وصاكم بالإحسان إليه.

﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝١٨﴾ أي: ولا يحض بعضكم بعضا - أيها الناس - على إطعام المساكين، ولا ترحمونهم كما أمركم الله.

﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ۝١٩﴾ أي: وتأكلون الميراث الذي يخلفه الميت أكلا شديدا من أي جهة حصل لكم، من حلال أو حرام، لا تتركون منه شيئا، وتأخذون ما قدرتم عليه من نصيب اليتامى والنساء والضعفاء.

﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ أي: وتحبون المال حبا كثيرا، فتحرصون على جمعه من حلال وحرام، ولا تخرجون زكاته، ولا تتصدقون منه.

﴿كَلَّآ﴾ أي: انتهوا عن ترك إكرام اليتامى، وعن عدم الحض على إطعام المساكين، وعن أكل الميراث الذي لا تستحقونه، وعن حب المال حبا جما.

﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾﴾ أي: إذا زلزل الله الأرض يوم القيامة زلزالا شديدا، فيهلَكُ كلُ من عليها من الناس الأحياء والبيوتِ والأشجارِ حتى الجبال. كما قال تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾﴾ [الحاقة:١٤-١٥].

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ أي: وجاء الله يوم القيامة لحساب عباده كما يليقُ بجلاله، وجاءت الملائكةُ في صفوفٍ كثيرة، منتظرين تنفيذُ أمرِه في عباده.

﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾ أي: ويُؤتى يوم القيامة بنار جهنم، تقودها الملائكة بأمر الله؛ ليدخلها من كفر بالله وعصاه. وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (جيء بجهنمَ تقادُ بسبعين ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يقودونها) رواه مسلم مرفوعا، والترمذي موقوفا.

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ أي: يوم القيامة يتوب الإنسان من ذنوبه، ويتذكرُ جميع أعماله، ويتحسرُ على ما ضيع من الأعمال الصالحة، وكيف تنفعُه التوبةُ وهي لا تُقبل يوم القيامة؟!

﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ٢٤﴾ أي: يقول الإنسان المفرِّط في طاعة الله: يا ليتني قدمت في الدنيا أعمالا صالحة لحياتي الأبديةِ في الآخرة. فالمستقبل الحقيقي هو في جنة الخلد، أما الدنيا فهي فانية، ومهما حصَّل الإنسان في الدنيا من أموالٍ ومناصبَ وجاهٍ وملذاتٍ فهي متاعٌ زائل، والآخرة خيرٌ وأبقى، فعلى العاقل أن يسعى لحياتِه الأبديةِ في جنة النعيم، وذلك الفوز العظيم.

﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٥﴾ أي: فيوم القيامة لا يعذِّب أحدٌ في الدنيا مثلُ عذاب الله أهلَ النار، فلا أشدَ من عذاب الله. كما قال تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ ١٢٧﴾ [طه:١٢٧].

﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٦﴾ أي: ولا يُقيِّد ويشد أحدٌ في الدنيا قيود المحبوسين مثلُ وَثاق الله أهلِ النار بالسلاسلِ والأغلال. كما قال تعالى: ﴿إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ٧١ فِي ٱلۡحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ٧٢﴾ [غافر:٧١-٧٢].

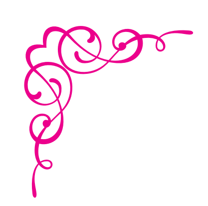
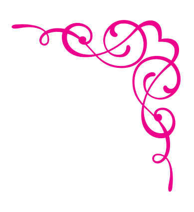
﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧﴾ أي: تقول الملائكة للمؤمن عند قبض روحه: يا أيتها النفس المطمئنة بذكره وعبادته، المصدقةُ بما أخبر الله به عباده، الثابتةُ على الحق.

﴿ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨﴾ أي: ارجعي إلى الله راضيةً بالله وثوابِه، قد رضي الله عنكِ لإيمانِكِ وأعمالِكِ الصالحة.

﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩﴾ أي: يقول الله للمؤمن عند موته وعند بعثه يوم القيامة: فادخلي في جملة عبادي الصالحين، أهلِ الجنة. كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ ٩﴾ [العنكبوت:٩].

﴿وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠﴾ أي: وادخلي جنتي مع عبادي الصالحين. كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النساء:٦٩].



تدبر سورة البلد

سورة البلد ذكر الله فيها حال الأغنياء المبذرين، والأغنياءِ المحسنين، وحث فيها الأغنياءَ على إنفاق أموالهم في عظائم القرب التي لا تُستطاع إلا ببذل الأموال الكثيرة، فلنتدبر هذه السورةَ العظيمةَ التي فيها موعظةٌ بليغة للأغنياء، وفيها هداياتٌ قرآنية لكل من تدبرها:

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١﴾ أي: أُقسِم بهذا البلد العظيمِ القدر، وهو مكةُ المكرمة، و(لا) في قوله: ﴿لَآ أُقۡسِمُ﴾ صلةٌ للتأكيد، وليست نافية.

﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢﴾ أي: أقسم بمكة في حال كونك - أيها الرسول - مقيما بها، فحلول النبي ﷺ في مكة يزيدُها شرفاً إلى شرفها، وهذه السورة نزلت والنبي عليه الصلاة والسلام مقيم في مكة. وقال بعض المفسرين: المعنى: وأنت - أيها الرسول- يَحلُ لك القتال في مكة، فيكون في الآية بشارةٌ للنبي ﷺ بفتح مكة، ولم يحل له القتالُ يوم فتح مكة إلا ساعة من نهار.

﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣﴾ أي: وأُقسِم بكل والد وما ولد، ويَدخلُ في هذا آدم عليه الصلاة والسلام وما تناسل منه من ولد.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤﴾ هذا هو جواب القسم، أي: لقد خلقنا الإنسان في تعب، يكابد أمورَ حياته ومعيشتِه، وهمومَ دنياه وآخرتِه. قال العلماء: كل إنسان يخرج من تعبٍ إلى تَعَب، فلا أحدَ يسلمُ من التعب في هذه الدنيا منذ خروجه من بطن أمه إلى وفاته، فيكابدُ ضغطةَ الخروج من بطن أمه، ثم يكابدُ قطعَ سُرَّتِه، ثم إذا قُمِّط يكابد الضيق، ويكابد تعبَ الارتضاع، ثم يكابدُ ألمَ الختان، ثم يكابد نباتَ الأسنان، ثم يكابد الفطام، ثم يكابد التعلم والدراسة، ثم يكابد أمر الزواج وتكاليفَه، ثم يكابد شغلَ الأولاد، ويكابد بناء السكن وطلبَ الرزقِ الحلال، ولا يسلمُ في جميع حياته من الأوجاع والأمراض، والهموم والأحزان، وإن طال عمره أصابه الكِبر والهرم، وعند موته يكابد سكراتِ الموت، فما دام الإنسان في هذه الدارِ فلا يسلمُ من الأكدار، سواء كان غنيا أو فقيرا، وبعد الموت يأتيه ما لا يخطر ببالِه، من ضيقِ القبور وظلمتها، وأهوالِ يومِ القيامة وشدتِها، فقد خلقنا الله في تعب بحكمته، وجعل الدنيا دار ابتلاء بمشيئته.

فيومٌ علينا ويومٌ لنا ... ويومٌ نساءُ ويومٌ نسر

فنسألُ الله أن يرزقنا الصبر على متاعب الدنيا ومصائبها، وأن يحسن ختامنا، وأن يرحمنا ويغفر لنا.

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥﴾ أي: أيظن الإنسانُ الغني الكافر أن الله الأحد لن يقدر على تغيير أحواله، وبعثِه بعد موته وعقوبته؟ فالأحد هو الله كما قال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص:١].

﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦﴾ أي: يقول الغني المبذر أمواله في الباطل وفي شهواته مفتخرا على غيره: أنفقت مالا كثيرا في قضاء شهواتي وملذاتي!فبدلا من أن يخفف على الناس متاعب الدنيا بالمال الذي رزقه الله، فإنه يبذره فيما لا يرضي الله، وهو بهذا من إخوان الشياطين، كما قال سبحانه: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝٢٦ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ۝٢٧﴾ [الإسراء:٢٦-٢٧].

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧﴾ أي: أيظن المفتخر بإنفاق أمواله في المعاصي أن الله الذي من أسمائه الأحد لم يره، ولن يحاسبه على ما أنفق من أمواله في الباطل؟! روى ابن أبي حاتم عن الضحاك رحمه الله في قوله: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧﴾ قال: (الأحد: الله عز وجل).

ثم ذكَّر الله هذا الغني المبذر ببعض نعمه عليه فقال: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩﴾

أي: ألم نخلق لهذا الغني عينين يبصر بهما، ولسانا يتكلم به، وشفتين يستعين بهما على النطق، وجمالا لوجهه؟

﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ النجد هو الطريق في المكان المرتفع. أي: وبينا للإنسان طريقَ الخير وطريقَ الشر بإرسال الرسل وإنزال الكتب. وهذه نعمٌ عظيمةٌ دنيوية ودينية لا تُقدَّر بثمن، والمقصود بذكرها تأنيبَ الغنيِ المتكبر، فقد أعطاه الله هذه النعم فلم يقم بشكرها، بل استعان بعينيه على معصية الله، وتكلم

بلسانه وشفتيه بما يسخط الله، وترك اتباعَ طريقِ الحق، واختار طريق الكفر ومعصية الله بما أعطاه الله من الأموال، وكان عليه أن يحسن إلى الناس كما أحسن الله إليه، وأن يخفف عليهم متاعب الدنيا مما رزقه الله.

﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١﴾ أي: فلم يقتحم الغني العقبة الشديدة، ويتكلف صعودَها والمشي عليها، وذلك بأن يجاهدَ نفسَه ويخالف هواه بإنفاق الأموال الكثيرة في الصدقات العظيمة، شكرا لله على نعمه الظاهرة والباطنة.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢﴾ أي: وما أدراك - أيها الإنسان - أيُ شيء العقبةُ الشديدةُ التي عظَّمها الله وحث الأغنياءَ على اقتحامها بأموالهم؟! فالعقبة هي الطريق الصعبة التي لا يستطيع سلوكها وقطعها إلا الأغنياءُ أصحابُ الأموال. ثم ذكَر الله بعض الأمور الشاقة التي على الأغنياء أن ينفقوا أموالهم فيها بدلا من تبذيرها في الشهوات المحرمة، والملذات الفانية، فقال سبحانه:

﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣﴾ أي: تخليص إنسانٍ من العبوديةِ والأسر. فمن الأمور الصعبة التي لا تُستطاع إلا ببذل الأموال الكثيرة: عتق العبيد، وهذا لا يكون إلا بشراء المملوك من سيده بالأموال الطائلة أو بالتعاون مع بعض الأغنياء على شراء العبد أو الأمة وإعتاقِهما لوجه الله، ومن ذلك السعي في فِكاك الأسيرِ المسلمِ عند الكفار، والمحبوسِ عند المسلمين. ثم ذكر الله مثالا آخر من الأمور الشاقة التي لا تستطاع إلا ببذل الأموال الكثيرة فقال سبحانه:

﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥﴾ أي: أو إطعامٌ للمحتاجين في زمن مجاعة شديدة، قد قل فيها الطعام، فاشتراه الغني الصالح

بأغلى الأثمان، وبذله للناس بالمجان، لا سيما أن يطعم طفلا صغيرا لا أب له من أقاربه، أو مسكينا لاصقا بالتراب من شدة فقره، فيُطعم الطعامَ لوجه الله في تلك المجاعةِ الشديدة، للمحتاجين من أقاربه، وكل من كان من قومه فهو قريبه وإن كان يجمعهم نسب بعيد، وللمحتاجين من غير قومه وقرابته، فكلُ معروفٍ صدقةٌ للقريب والبعيد، ومن أعظم الصدقات إطعامُ الطعام، سواء أطعمهم الطعام مطبوخا أو أعطاهم الطعامَ من الحبوب واللحوم وغيرها ليطبخوه في بيوتهم، وخير الناس من أطعم الطعام، وقد حثنا الله على ذلك في آيات كثيرة. ومن اقتحام العقبةِ أيضا: التنفيس بالمال عن مكروب، وإغاثةِ ملهوف، ونصرِ مظلوم، وقضاءِ دينِ معسر، وعلاجِ مريض، وتزويجِ شابٍ، وبناءِ مسجدٍ أو إصلاحِ طريقٍ أو حفرِ بئرٍ، وغيرِ ذلك من القربات العظيمة التي تنفق فيها الأموالُ الكثيرة.

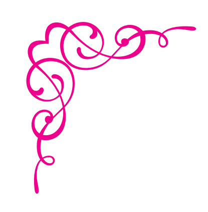
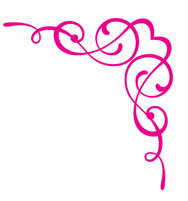
﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ١٧﴾ أي: ثم كان المنفق ماله في فكِ الرقاب وإطعامِ الطعام من الذين صدَّقوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، مخلصٌ لله في صدقاته، وأوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله، وعن معاصيه، وعلى أقداره المؤلمة، وأوصى بعضهم بعضا بالرحمة باليتامى والمساكين والضعفاء وسائر الخلق حتى الحيوانات، وفي الحديث الصحيح: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء». وفي هذا ثناءٌ على الأغنياء الذين يتعاونون على البر والتقوى، فهم يتواصون بالصبر؛ لأن الإنسان خلق في تعب ومشقة، فيحتاج إلى من يحثه على

الصبر على طاعة الله، ومن يحثه على الصبر عن الشهوات المحرمة التي تشتهيها نفسُه الأمارة بالسوء، ويحثه على الصبر على أقدار الله المؤلمة، وأيضا هؤلاء الأغنياء الصالحون يتواصون برحمة المساكين، فيحث بعضهم بعضا على تركِ الاحتكار، وتخفيضِ الأسعار، وفعل الخير رحمة بالمساكين، فإن الإنسان خُلق في تعب، وقلةُ المال تزيد المساكين تعبا إلى تعبهم، فهؤلاء الأغنياء يتواصون بالتسهيل عليهم، والتخفيفِ عنهم بما أعطاهم الله من الأموال. وفي هذا بيانٌ لحاجةِ المسلمين إلى التواصي بالصبر والتراحم، ولا تقوم مصالحُ الناس في دينهم ودنياهم إلا بالشجاعة والكرم، فلا بد للمسلم أن يصبر وأن يرحم، وبالصبر تكون الشجاعةُ والثبات، وبالرحمة يكون الكرمُ والإحسان.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ١٨﴾ أي: الأغنياء المتصفون بالإيمان وفكِ الرقاب وإطعامِ الطعام هم أصحاب اليمين، الذين يُؤتون كتبَ أعمالهم بأيمانهم، ويدخلهم الله الجنة، فرحمة الله قريب من المحسنين.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ١٩﴾ أي: والذين كفروا بآيات القرآن، ولم يعملوا الصالحات، ولم يرحموا عباد الله، هم أصحاب الشمال الذين يؤتون كتب أعمالهم بشمائلهم، ويدخلهم الله النار، ولا تنفعهم أموالُهم التي بخلوا بها في الدنيا.

﴿عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ٢٠﴾ أي: عليهم نارٌ مطبقةٌ مغلقةُ الأبواب، لا يخرجون منها أبدا، ولا يرحمهم الله في الآخرة؛ لأنهم لم يرحموا عباد الله في الدنيا، ومن لا يرحم لا يُرحم.

تدبر سورة الشمس

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝١﴾ أي: أُقسِم بالشمس وضوئها.

﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۝٢﴾ أي: وأُقسِم بالقمر إذا تبع الشمس في الإضاءة وفي السير بعدها.

﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ۝٣﴾ أي: وأُقسِم بالنهار إذا أضاء الأرض بنوره.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۝٤﴾ أي: وأُقسِم بالليل إذا يغطي الأرض بظلامه.

﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۝٥﴾ أي: وأُقسِم بالسماء، وأُقسِم بالله الذي بناها.

﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۝٦﴾ أي: وأُقسِم بالأرض، وأُقسِم بالله الذي بسطها ووسَّعها.

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧﴾ أي: وأُقسِم بكل نفسٍ، وأُقسِم بالله الذي خلقها بإتقان، فعدَّل أعضاء الإنسان، وخلقه على الفطرة، وأنعم عليه بالعقل، وجعله قابلا لمعرفة ما ينفعه في دينه ودنياه.

﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨﴾ أي: فبين الله لكل نفسٍ طريقَ الخير لتسلُكَه، وطريقَ الشر لتجتنبَه، وعرَّفها الحق بفطرتها وبإرسال الرسل وإنزال الكتب، فاهتدت إلى الحق بتوفيقه، أو ضلت عن الحق بخُذلانه. كما قال تعالى:

﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ [الإنسان:٣]. وكان رسول الله ﷺ يقول في دعائه: «اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها». رواه مسلمٌ من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ هذا هو جواب القسم، أي: قد فاز بالنجاة من النار والخلود في الجنة من طهَّر نفسه من الكفر والمعاصي والأخلاق السيئة، ونمّاها وعظَّمها وشرَّفها بالإيمان والعلم النافع والأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة. كما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥﴾ [الأعلى:١٤-١٥].

﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ أي: وقد خسر وشقي بدخول النار من أخفى نفسه وحقَّرها بالكفر والمعاصي، ودنَّسها بالذنوب والعيوب، ولم يُشرِّف نفسه بطاعة الله سبحانه.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ۝١١﴾ أي: كذَّبت أمةُ ثمودَ بالحق الذي جاءهم به رسولهم صالح، بسبب طغيانهم الذي جاوزوا فيه الحد.

﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ۝١٢﴾ أي: حين نهض أشقى ثمودَ لعقر الناقة التي جعلها الله لهم آية وفتنة. كما قال تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ۝٢٧ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ۝٢٨ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ۝٢٩﴾ [القمر:٢٧-٢٩].

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ۝١٣﴾ أي: فقال لهم رسول الله صالح عليه الصلاة والسلام: احذروا ناقة الله أن تمسوها بسوء، واحذروا أن تمنعوها من

الشرب في يومها الذي جعله الله نصيبا لها، حين قسم الماء بينكم وبينها. كما قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأعراف:٧٣]. وقال سبحانه: ﴿قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾﴾ [الشعراء:١٥٥-١٥٦].

﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ أي: فكذَّب كفار ثمودَ نبيَهم صالحا فيما جاءهم به من الحق، وما توعدهم به من العذاب، فقتلوا الناقة كفرا وعنادا. كما قال تعالى: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾ [الأعراف:٧٧-٧٨]. وقد نسب الله عقرَ الناقةِ إلى جميعِ كفارِ ثمودَ - وإن كان عاقرها واحدا - لأنهم رضوا بفعله، فصاروا كالفاعلين لهذا الذنب، فمن رضي بالمعصية فهو كمن عملها، فيجب الحذر من الرضا بالكفر والمعاصي.

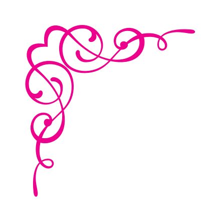
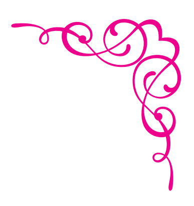
﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾﴾ أي: فأطبق الله على أمة ثمودَ العقوبةَ بسبب كفرهم وعقرهم الناقة، فسوى الهلاكَ على جميعهم، كبارِهم وصغارِهم، أغنيائهم وفقرائهم، ذكورِهم وإناثِهم، فلم ينج منهم أحدٌ إلا المؤمنين. والمراد بهذه الدمدمةِ الصيحةُ التي أُهلكوا بها، كما قال تعالى: ﴿وَأَخَذَ



ﭐلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٦٧ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّثَمُودَ ٦٨﴾ [هود:٦٧-٦٨].

﴿وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا ١٥﴾ أي: ولا يخاف الله عاقبةَ إهلاكِ جميعِ أمةِ ثمودَ، فهو العزيز القهار القوي الذي لا يخشى أحدا. كما قال تعالى: ﴿فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ١٦ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ١٧ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ ١٨﴾ [البروج:١٦-١٨]. فثمود أمةٌ عظيمة، لا يعلم عددَهم إلا اللهُ سبحانه، كانوا أشد منا قوة، ومن قوتهم أنهم كانوا ينحِتون من الجبال بيوتا آمنين، فأهلكهم الله أجمعين، ولم يبال بهم، ولا يخافُ أن يسأله أحدٌ عنهم. قال الله سبحانه عن ثمود: ﴿فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٥٢﴾ [النمل:٥٢]. وقال الجبار سبحانه: ﴿وَكَمۡ قَصَمۡنَا مِن قَرۡيَةٖ كَانَتۡ ظَالِمَةٗ وَأَنشَأۡنَا بَعۡدَهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ١١﴾ [الأنبياء:١١].



تدبر سورة الليل

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١﴾ أي: أُقسِم بالليل إذا يغطي الأرض ومن عليها بظلامه.

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾ أي: وأُقسِم بالنهار إذا ظهر للخلق بنوره.

﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣﴾ أي: وأُقسِم بالله الذي خلق الذكر والأنثى بقدرته. أقسم الله بالليل والنهار، وهما مختلفان، وبالذكر والأنثى وهما مختلفان، على أن سعي الناس مختلف فقال:

﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤﴾ أي: إن أعمالكم - أيها الناس - لمختلفةٌ أشد الاختلاف، فمنكم المؤمن والكافر، ومنكم المطيع والعاصي، ومنكم المهتدي والضال، ومنكم المخلص والمرائي، ومنكم المتَّبع والمبتدع.

﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥﴾ أي: فأما من أعطى ما أمره الله بإعطائه من الزكاة والنفقات والصدقات، وسائر الواجبات الاعتقادية والقولية والفعلية، واتقى الله بترك المحرمات الظاهرة والباطنة.

﴿وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦﴾ أي: وصدَّق بالتوحيد وأركان الإيمان، ومن ذلك التصديقُ بالجنة.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ١٠﴾ أي: فسنسهل لمن أعطى الواجبات واتقى المحرمات وصدَّق بالحق أمور دينه ودنياه في جميع أحواله. فمن أراد أن يسهل الله أموره، فليتصدق، وليتقي الله، وليحقق الإيمان، وليبشِر بالخير العظيم في الدنيا والآخرة، كما وعد الله بذلك في كتابه في آيات كثيرة، كقوله: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗ﴾ [النحل:٩٧]. وقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢-٣]. وقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ٤﴾ [الطلاق:٤].

﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ٨﴾ أي: وأما من بخل بما أمره الله من الزكاة والنفقات والصدقات، واستغنى بماله وشهوات الدنيا عن الله وعبادته، وأصر على ضلاله.

﴿وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٩﴾ أي: وكذَّب بالتوحيد والإيمان، وكذَّب بالجنة.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ١٠﴾ أي: فسنعسر على من بخل واستغنى عن الله فعل الخير الذي ينفعه في دينه ودنياه وآخرته، فلا يوفقه الله إلى الإيمان والأعمال الصالحة، ويَخذُله بتسهيل الشر على يديه، وتسليطِ شياطين الإنس والجن عليه. كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء:١١٥]. وقال تبارك وتعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ [فاطر:٨]. روى البخاري ومسلم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ في جنازة، فقال: «ما منكم من أحد إلا وقد كُتِب مقعدُه من النار، ومقعدُه من الجنة»، قالوا: يا رسول الله، أفلا نتكل على كتابنا، وندعُ

العمل؟! قال: «اعملوا فكلٌ ميسَّرٌ لما خُلِق له، أما من كان من أهل السعادة فيُيَسرُ لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاء فيُيَسرُ لعمل أهل الشقاوة»، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل:٥-١٠].

﴿وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١﴾ يعني: وأيُّ شيء يدفع عن الكافر مالُه الذي بخل به وأعرض بسببه عن عبادة الله إذا مات، وسقط يوم القيامة في جهنم؟!

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝١٢﴾ أي: إن علينا أن نبين الهدى من الضلال بإنزال الكتب وإرسال الرسل، فقد بين الله الصراط المستقيم الموصلَ إلى الله وإلى جنته.

﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ۝١٣﴾ أي: وإن لنا الآخرة والدنيا، فنعطي خير الدنيا والآخرة من نشاء، ونمنعه عن من نشاء، فمن أراد خير الدنيا والآخرة فليسأل الله سبحانه، فهو مالكُهما، والمتصرفُ فيهما بقدرته ومشيئته وحكمته.

﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ۝١٤﴾ أي: فحذَّرتكم - أيها الناس - نار جهنم التي تشتعل، فاحذروا الكفر والمعاصي حتى لا تدخلوا النار بسبب ذنوبكم.

﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝١٥ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦﴾ أي: لا يدخلُ نار جهنم خالدا فيها أبدا، وتُحيطُ به من جميع جوانبه، إلا الكافرُ الشقي الذي كذَّب بالحق، فلم يؤمن بالله وآياته، وتولى عن طاعة الله وطاعة رسوله. كما قال تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۝٣١ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝٣٢﴾ [القيامة:٣١-٣٢].



﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ١٧﴾ أي: وسيُباعد عن النار المؤمنُ الذي اتقى الله بفعل الواجبات، واجتناب المحرمات.

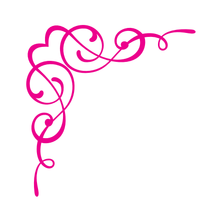
﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ١٨﴾ أي: المؤمن الذي يقيه الله عذابَ جهنم هو الذي يتصدقُ من ماله بإخلاص، من أجل أن يزكي نفسه بالطاعات، ويتطهر من السيئات. وقد أجمع المفسرون على أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وحكمها عام لكل من اتقى الله، وتصدق من ماله بإخلاص.

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ١٩﴾ أي: وليس إنفاقُه ليكافئَ من أحسن إليه من الناس، بل هو مخلص في صدقاته، لا يريد من الذين يحسن إليهم جزاء ولا شكورا، وليس لأحد من الخلق عليه نعمة تُجزى إلا وقد كافأه عليها.

﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ٢٠﴾ أي: لكن ينفق أمواله يبتغي بذلك وجه ربه الأعلى؛ ليرضى عنه، ويدخله جنته.

﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ٢١﴾ أي: وأُقسِم لسوف يرضى هذا المتقي المتصدق حين يُدخله الله جنته، ويُثيبه الثواب العظيم على تقواه وصدقاته.






تدبر سورة الضحى

هذه السورة لها سبب نزول: وهو أن جبريل عليه السلام أبطأ بالوحي فلم ينزل على النبي ﷺ أياما، فقال بعض المشركين: قد تُرِك محمدٌ، فأنزل الله عز وجل هذه السورة.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَالضُّحَىٰ ۝١﴾ أي: أُقسِم بوقت الضحى وما فيه من الضياء.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ أي: وأُقسِم بالليل إذا غشى ظلامُه وجه الأرض.

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ أي: ما تركك ربك - يا رسول الله - وما أبغضك كما يدعي المشركون. وتأمل مناسبةَ هذا القسم وهو نور الضحى الذي يأتي بعد ظلام الليل للمقسم عليه وهو نور الوحي الذي أتى بعد احتباسه عن النبي عليه الصلاة والسلام.

﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤﴾ أي: وثواب الآخرة خير لك - يا رسولنا - من الدنيا وما فيها.

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥﴾ أي: وأُقسِم لسوف يعطيك ربك من خير الدنيا والآخرة ما يرضيك. وعد الله رسوله محمدا عليه الصلاة والسلام بما تقرُ به عينُه، وهو أن يعطيَه حتى يرضى، وهذا يعم ما يعطيه من القرآن، والهدى

والعلم، والنصرِ على الأعداء، وكثرةِ الأتباع، وانتشارِ الدين، وما يعطيه بعد موته من النعيمِ في البرزخ، وما يعطيه يوم القيامة من المقام المحمود والشفاعة في أمته، وما يعطيه في الجنة من المنزلة الرفيعة، والدرجة العالية التي لا تنبغي لسواه. كما قال تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [الإسراء:٧٩]. وقال سبحانه: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ١ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا ٣﴾ [الفتح:١-٣]. ثم عدد الله على رسوله ثلاث نعم أنعم بها عليه فقال:

﴿أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ٦﴾ أي: ألم يجدك ربك - أيها الرسول - يتيما فيسر لك من يكفلُك وينصرُك؟ فقد مات أبوه وهو في بطن أمه، ثم ماتت أمُه وهو صغير لا يدبر نفسه، فآواه الله بأن يسر أن يكفله جدُه عبد المطلب، ثم لما مات جده كفله عمُه أبو طالب، حتى أيده الله بنصره وبالمؤمنين من أصحابه.

﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ٧﴾ أي: وألم يجدك ربك - أيها الرسول - ضالا عن معرفة القرآن والإيمان، فعلمك الله القرآن، وهداك إلى الإيمان، وعرَّفك أحكام الشريعة، وكنت جاهلا بكل ذلك قبل النبوة؟

كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ١١٣﴾ [النساء:١١٣]. وقال سبحانه: ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ﴾ [العنكبوت:٤٨]. فالمراد بالضلال في الآية: عدم معرفة القرآن والإيمان، وليس المراد بالضلال هنا اتباع الباطل؛ فإن الأنبياء معصومون من الشرك قبل النبوة.

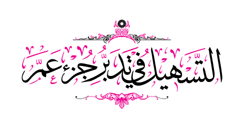
﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغۡنَىٰ ٨﴾ أي: وألم يجدك ربك - أيها الرسول - فقيرا ذا عيال، فأغناك الله بما يسر لك من الأموال وغنى النفس؟ فقد أغنى الله رسوله بما رزقه من الغنائم وغيرها، وقنعه بما آتاه، والقناعة غنى، كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس». ثم أمر الله رسوله عليه الصلاة والسلام أن يقابل هذه النعم الثلاث بما يليق بها من الشكر، فنهاه أن يقهر اليتيم، وأن ينهر السائل، وأن يكتم النعمة، وأمْرُ الله لرسوله أمْرٌ لأمته، فقال سبحانه:

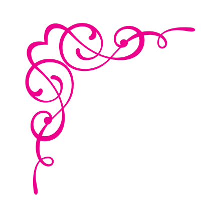
﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ٩﴾ أي: فأما اليتيم فلا تظلمْه بأخذ حقه، بل أحسن إليه، فكما كنت يتيما فآواك الله فلا تقهرِ اليتيم.

﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ١٠﴾ السائل يشمل السائل عن العلم، وهو المستفتي والمتعلم، ويشمل السائلَ المسكين الذي يسأل الناسَ الصدقة، فمعنى الآية: وأما السائل المسكين الذي يطلب الصدقة، والسائل عن العلم، فلا تزجره إذا سألك، بل اعط المسكين السائل من مالك وطعامك، وأجب المتعلم عن سؤاله، فكما كنت عائلا فأغناك الله، وكنت ضالا عن العلم فهداك الله وعلمك، فلا تنهر السائل برفع الصوت والزجر، وإن أساء فرده بلطف بلا عنف.

﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ١١﴾ أي: وأما بنِعَم ربك الدينية والدنيوية فحدث الناسَ بها، ولا تكتمها، فكما علمك الله وهداك، وكما أغناك؛ فحدث بما أنعم الله عليك في دينك ودنياك، فمن شكر النعمة أن يُحدِّث المسلم بها شكرا لله،

وثناء بها عليه، لا فخرا على الناس. روى الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب أن يُرى أثرُ نعمته على عبده»، فمن وسع الله عليه فليوسع على نفسه وأهله في مطعمه وملبسه ومسكنه ونفقته، بلا إسراف، ولا خيلاء. ومن الأحاديث الصحيحة في الثناء على الله بنِعَمه ما رواه النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أكل طعاما عند بعض الأنصار، فلما غسل يده قال: «الحمد لله الذي يُطعِم ولا يُطعَم، منَّ علينا فهدانا، وأطعمنا وسقانا، وكل بلاء حسن أبلانا، الحمد لله غير مودع، ولا مكافئ، ولا مكفور، ولا مستغنى عنه، الحمد لله الذي أطعم من الطعام، وسقى من الشراب، وكسا من العري، وهدى من الضلالة، وبصَّر من العمى، وفضَّل على كثير من خلقه تفضيلا، الحمد لله رب العالمين». وأيضا من التحدث بنعم الله أن يحدث العالم وطالب العلم الناس بما علمه الله من القرآن وتفسيره والسنةِ والفقهِ وغير ذلك من العلم النافع، فيعلمُ الناسَ مما علمه الله، ويُظهرُ علمه مشافهة وتأليفا ليستفيد الناس منه، ولا يكتمْ علمه، وهذا يدخل في التحدث بنعمة الله كما ذكر العلماء. اللهم اجعلنا شاكرين لنعمتك، مثنين بها عليك، وأتمها علينا.



تدبر سورة الشرح

هذه السورة كلها خطابٌ للنبي محمدٍ عليه الصلاة والسلام، مثلُ سورة الضحى، وسورةِ الكوثر، فهي ثلاث سورٍ خاصة بالنبي محمد ﷺ.

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ۝١﴾ أي: ألم نوسِّع لك صدرك لمعرفة الحق والعملِ به، وتحملِ أعباءِ الدعوة إلى الله؟ فمن أعظم نعم الله على عبده أن يوسع صدره في طلب العلم، فيعلمُ الحق، ويعملُ بما علم، ويصبر على طلبِ العلم والعملِ به وتعليمِه، ويتحملُ أذى الناس. كما قال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر:٢٢]. ولا بد من سعة الصدر لمن يدعو الناس ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، كما حكى الله قول موسى عليه الصلاة والسلام حين أمره أن يدعو فرعون: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ۝٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ۝٢٦﴾ [طه:٢٥-٢٦]. وقد كان النبي ﷺ أوسعَ الناس صدرا، وأعظمَهم صبرا، وأحسنَهم أخلاقا.

﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ۝٣﴾ أي: وحططنا عنك - يا رسولنا - إثمَك الذي أثقل ظهرَك، قال بعض العلماء: هذا مثلٌ معناه: لو كانت ذنوبُك حِملا تحمله على ظهرك لسُمِع نقيضُ ظهرك من ثِقَل الذنوب، فالذنب

ثقيل على العبد، ولا يخففه إلا التوبةُ والاستغفار، فالتوبة خير وسعادة وراحة، وطوبى لمن وجد في صحيفته استغفارا كثيرا. وقد غفر الله لرسوله ذنوبَه كلها، أولها وآخرها، كما قال تعالى: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح:٢]. واعلموا - بارك الله فيكم - أن الذنب يكون بفعل الحرام، أو بترك الواجب، والنبي ﷺ معصوم من الوقوع في المحرمات، وقد يقع منه خلاف الأولى، مثلُ قصة الأعمى المذكورةِ في سورة عبس، ومثلُ إذنِه للمتخلفين عن غزوة تبوك فعاتبه الله بقوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٤٣﴾ [التوبة:٤٣]. وقد كان النبي ﷺ يكثر من استغفار الله لأنه لا أحد يستطيع أن يقوم بما يجب لله من العبادة الكاملة التي يستحقها الخالق سبحانه، فمهما أكثرَ الإنسانُ من ذكر الله فإنه يغفَل ويفتُر، وقد كان النبي ﷺ إذا خرج من الخلاء قال: غفرانك، فيستغفر الله إذا خرج من الخلاء؛ لأنه كان لا يذكر الله حال قضاء حاجته، وهذا ليس ذنبا، ولكنه سأل الله المغفرة للتقصير فيما يجب لله العظيم من الذكر والشكر، فمهما عبدَ الإنسانُ ربَه فهو مقصرٌ في حقه، وفي مستدرك الحاكم من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه موقوفا عليه أن الملائكة يقولون يوم القيامة: (سبحانك ما عبدناك حق عبادتِك)، مع أنهم يسبحون الله ليلا ونهارا لا يفترون. ومن رحمة الله بنا وتيسيرِه علينا أن أمرنا أن نعبده ونتقيه بقدر الاستطاعة، وأن نكثر من التوبة إليه واستغفارِه، قال الله تعالى: ﴿فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُ﴾ [فصلت:٦]، وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: «استقيموا، ولن تُحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة»، وفي

الحديث الآخر: «سددوا وقاربوا وأبشروا»، فعلى المسلم أن يحرص على السداد وإصابة الخير، فإن لم يستطع الكمال فليقاربْ بقدر استطاعته، وليبشِر بالخير، فمن حافظ على صلواتِه الخمس في أوقاتها بشروطها وأركانها وواجباتها، واتقى الله بفعل الواجبات بقدر استطاعته، واجتنب ما حرم الله عليه من الكبائر والصغائر، وتاب إلى الله مما يقع فيه من الآثام؛ فهو على خير، فمن كثُر خيرُه على شره فهو من الصالحين، فكل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون.

﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ۝٤﴾ أي: ورفعنا لك ذكرك تشريفا لك وتعظيما، فالمسلمون يذكرون اسم النبيِّ محمدٍ مع اسم الله سبحانه في الشهادتين: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله، في تشهد الصلاة، وفي الأذان، وفي الخطب، وجعل الله رسوله قدوة للمسلمين في جميع أحوالهم. كما قال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١]. وأمر الله المسلمين أن يصلوا على النبي عليه الصلاة والسلام فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦]. وصلاة الله على نبيه ثناؤه عليه، ويلزم منها رحمتَه ورفعَ درجاته، وصلاة الملائكة دعاؤهم له، ومن صلى على النبي مرة واحدة صلى الله عليه بها عشرا، كما جاء في الحديث الصحيح. فلم يرفعِ اللهُ قدر أحدٍ من خلقه كما رفع نبيَّه محمدا ﷺ، فهو سيد الأولين والآخرين، وقد حفظ اللهُ بواسطة علماء الأمة سيرتَه وأحاديثَه النبوية، ولا يوجد نبيٌ من الأنبياء حُفِظت سيرتُه وأقوالُه وأفعالُه وأسماءُ أصحابِه وأخبارُهم كنبينا محمدٍ خاتمِ الأنبياء والمرسلين، وأفضلِ خلقِ الله أجمعين.

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥﴾ أي: فإن مع الشدة والفقرِ الذي يصيب المؤمنين سهولةً وغنى في الدنيا لمن شاء الله، وفي الآخرة لجميع المؤمنين. كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾ [الطلاق:٢-٣].

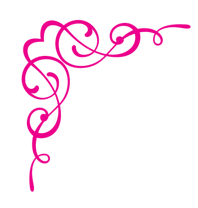
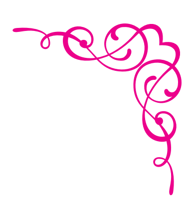
﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ أكد الله في هذه الآية أن مع العسر يسرا، ومع الضيق سعة، كما قال تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝٧﴾ [الطلاق:٧]. وفي مسند أحمد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «واعلم أن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا». فلا توجد شدةٌ على المؤمن إلا ويجعل الله بعدها مخرجا، وما أحسنَ قولِ الشاعر:

إن البلاء وإن طال الزمانُ به ... فالموتُ يقطعه أو سوف ينقطع

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧﴾ هذا أمرٌ للنبي ﷺ، ويدخل فيه أمتُه. أي: فإذا فرغت من أعمالك التي تنشغل بها فأتعب نفسك بعدها في عبادة الله. فعلى المسلم أن يغتنم حياته في طاعة الله، وينتقلَ من عمل صالح إلى عمل صالح، وإذا فرغ من عبادة انتقل إلى غيرها، وإذا فرغ من أمر الدنيا فلينصب في أمر الآخرة، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ۝٦٢﴾ [الفرقان:٦٢]. وفي مستدرك الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناءك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك».

﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ۝٨﴾ أي: وإلى ربك وحده فاجعل رغبتك ونيتك، واسأله حاجاتك، وتوكل عليه في جميع أمورك، ولا ترجو غيره من الخلق. فعلى المسلم أن يدعو الله وحده، ويستعينَ به في جميع أموره، ويرجو رحمته وفضله، كما قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة:٥]. روى ابن ماجه عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كانت الدنيا همَّه، فرَّق الله عليه أمرَه، وجعل فقرَه بين عينيه، ولم يأتِه من الدنيا إلا ما كُتِب له، ومن كانت الآخرةُ نيتَه، جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة».



تدبر سورة التين

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢﴾ الله عز وجل يقسم بما شاء من خلقه، أما المخلوق فلا يجوز له أن يحلف إلا بالله سبحانه، كما قال سبحانه: ﴿فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾ [المائدة:١٠٦]، فالحلف بالله هو تعظيم لله، لكن لا يجوز الحلف بالله كاذبا، ولا الإكثار من الحلف بالله في كل شيء، وفي الحديث الصحيح: «من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت»، وفي الحديث الآخر: «من حلف بغير الله فقد أشرك»، فالحلف بغير الله شرك؛ لأن فيه تعظيما لغير الله، فلا يجوز للإنسان الحلف بالأمانة ولا بالنبي ولا بالأولاد ولا بأحدٍ من الخلق. أقسم الله في هذه السورة بالتين والزيتون، وجبلِ الطور الذي في سيناء، ومكةِ المكرمة، فالمعنى: أُقسم بالتين، وهو الثمر المعروف الذي يُؤكل رطبا ويابسا، وأُقسم بالزيتون، وهو الثمر المعروف الذي يؤكل ويُستخرج منه الزيت، وأُقسِم بجبل طور سيناء. كما قال تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخۡرُجُ مِن طُورِ سَيۡنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ ۝٢٠﴾ [المؤمنون:٢٠].

وقد أقسم الله في سور أخرى بالفجر والعصر والشمس والقمر والنهار والليل وغير ذلك، فالله يقسم بما شاء لتأكيد صدق خبره، وما أقسم الله به ففيه تشريفٌ له.

﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾ أي: وأُقسم بمكة البلد الآمن الذي يأمن من دخله، فلا يجوز الصيد فيه، ولا قطعُ أشجاره، فهو حرمٌ آمن. كما قال تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران:٩٧]. والقسم في هذه الآيات الثلاث فيه إشارةٌ إلى الأنبياء الثلاثة: عيسى وموسى ومحمدٍ عليهم الصلاة والسلام، أصحاب الشرائع المشهورة، فالقسم بالتين والزيتونِ إشارةٌ إلى منابتهما في الأرض المقدسة في الشام التي بُعِث فيها عيسى عليه الصلاة والسلام، والقسم بطور سيناء إشارةٌ إلى الجبل الذي كلم الله فيه موسى عليه الصلاة والسلام. كما قال تعالى: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ۝٥٢﴾ [مريم:٥٢]. والقسم بمكة إشارةٌ إلى البلد الذي بعث الله فيها رسوله محمدا عليه الصلاة والسلام. كما قال تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢﴾ [البلد:١-٢]. فأقسم الله بالأمكنة الشريفة الثلاثة، التي أنزل فيها أعظم الكتبِ السماوية؛ وذكرها على وجه التدرج؛ لأن أشرفها: القرآن ثم التوراة ثم الإنجيل، وكذلك الأنبياء الثلاثة، أفضلهم محمد ثم موسى ثم عيسى صلى الله عليهم وسلم، فأشار أولا إلى عيسى وكتابه الإنجيل، ثم إلى موسى وكتابه التوراة التي هي أفضل من الإنجيل، ثم أشار إلى محمد خاتم الأنبياء وأفضلهم، وكتابه القرآن أفضل الكتب.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾ هذا هو جواب القسم، أي: لقد خلقنا الإنسان في أحسن صورة، وأعدلِ هيئة. كما قال تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠﴾ [الإسراء:٧٠]. وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ

ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار:٦-٨].

﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾﴾ أي: ثم رددنا الإنسان بعد موته إلى النار بسبب كفره وفسوقه.

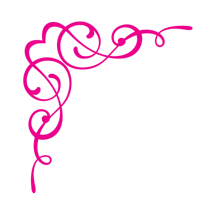
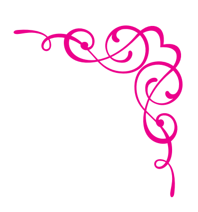
﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾ أي: إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلا يُردون إلى النار، فلهم أجر كامل في الجنة غير منقوص، دائم غير مقطوع. كما قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الانشقاق:٢٤-٢٥]. وقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر:٢-٣].

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾﴾ الخطاب للكافر، أي: ما الذي يجعلك تكذب بالبعث، وتنكر قدرة الله على بعث عباده بعد موتهم مع ظهور كمال قدرة الله؟! وقيل: الخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام، أي: فمَنِ الحقيرُ الذي يكذبك - يا رسول الله - بعد تبينِ الحق؟! وكلا القولين صحيح تحتمله الآية، فالدين يطلق على الحساب يوم القيامة، ويُطلق على دين الإسلام.

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾﴾ أي: أليس الله بأتقن الحاكمين، وأعدل العادلين؟! بلى، فالله أحكم الحاكمين، في خلقه، وفي شرعه، وفي قدره، لا يخلق شيئا إلا لحكمة، ولا يشرع شيئا إلا لحكمة، ولا يُقدِّر شيئا إلا لحكمة، علم ذلك

من علمه، وجهله من جهله، والله هو الحكم الذي يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون، ويحاسبهم على أعمالهم يوم القيامة، وما ربك بظلام للعبيد.



تدبر سورة العلق

هذه السورة هي أول سورةٍ أنزلها الله على رسوله، فالخمس الآيات الأولى منها هي أول ما نزل من القرآن، نزلت في شهر رمضان في ليلة القدر، والنبي عليه الصلاة والسلام في غار حراء في مكة.

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ أي: اقرأ - أيها الرسول - القرآنَ مبتدئا بذكر اسم ربك الذي خلق كل شيء. وهذا الأمر بالقراءة وإن كان أمرا للنبي ﷺ أولا، فهو أمر لكل واحد من أمته، فعلى كل مسلم أن يقرأ القرآن، فهو خير ما يُقرأ، وأن يبدأ قراءة القرآن بقوله: بسم الله الرحمن الرحيم، متبركا باسم الله، ومستعينا باسمه سبحانه.

﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢﴾ أي: خلق الله الإنسان من قطعة دم جامد. فالإنسان يكون في رحم أمه نطفةً ثم يكون علقةً تعلَق في الرحم، كما قال تعالى: ﴿أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨﴾ [القيامة:٣٧-٣٨].

﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣﴾ أي: اقرأ القرآن وربك الكثير الإحسان إلى جميع خلقه. كما قال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤﴾ [المزمل:٤]. وفي تكرار الأمر بالقراءة تأكيد على الإكثار منها، لا سيما قراءة القرآن، فالقرآن أفضل الكتب،

وقراءته حياة القلوب، وكذلك على المسلم أن يحرص على قراءة ما تيسر من الكتب النافعة، فالإسلام دين العلم والقراءة. وفي تكرار الأمر بالقراءة إشارةٌ إلى أهمية الإكثار من القراءة لحفظ العلوم، فمن أدمن القراءةَ سهُل عليه الحفظ والإتقان والفهم لما يقرؤه.

﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾﴾ أي: الله الذي علم الناس الخط بالقلم، فانتفعوا بالكتابة في أمور دينهم ودنياهم. فبالكتابة تُحفظ العلوم الدينية والدنيوية، وتُضبط الحقوق المالية، ولولا الكتابة لضاع العلم، ودخل الخلل على الناس في أمور دينهم ودنياهم، فالكتابة أمرها عظيم، وينبغي الاهتمام بتعلمها وتعليمها، وفي إتقانها نحوا ولغة وإملاء خير كثير، وقد أقسم الله بالقلم وما يسطره الناس فقال: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾﴾ [القلم:١]. ولذلك كان النبي ﷺ يأمر أصحابه بكتابة القرآن أولا بأول، ثم جمع الصحابةُ بعد وفاته المصحفَ الشريف كاملا، ودوَّن العلماء الأحاديث النبوية، وكتبوا أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم، ودوَّنوا السيرة النبوية والتاريخ، وكتبوا أشعار العرب وأخبارها وأمثالها، وصنفوا المصنفات النافعة في مختلف العلوم، فبقي العلم محفوظا في الصدور وفي السطور، فحفظ الله العلم بواسطة العلماء وما كتبوه، وانتقل العلم إلينا جيلا بعد جيل، يأخذه المتأخر عن المتقدم، مشافهة وكتابة، فالتعليم بالقلم من أعظم النعم.

﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ أي: علَّم الله الإنسان العلوم الكثيرة التي لم يكن يعلمها. كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ

شَيۡـٔٗا﴾ [النحل:٧٨]. فكل علمٍ نافعٍ هو بتعليم الله لعباده، كالعلم بالقرآنِ الكريم وتفسيرِه، والعلمِ بالأحاديث النبوية وشرحِها، وعلمِ الفقه وأصولِه، وعلمِ النحو واللغة، وعلمِ الأدب، وعلم التاريخِ والجغرافيا والفلَك والصناعات المتنوعة، والطب والهندسة وغير ذلك، كله مما علم الله عباده، فله الحمد والشكر.

﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۞ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۞﴾ أي: حقا إن الإنسان بسبب جهله وظلمه يكفر بربه ولا يشكره على نعمه، ويتجاوز الحد في عصيانه إذا كثر ماله، ورأى نفسه غنيا. فالغنى يطغي الإنسان إلا من رحم الله.

﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ۞﴾ أي: إن إلى ربك مصيرَ الإنسانِ الطاغي، فيجازيه الله على أعماله. وهذا تهديد من الله للإنسان الغني الذي يطغى بماله، وتحذير له من عاقبة الطغيان، فمهما طغيت واستكبرت فإن مرجعك إلى الله، وسيجازيك على أعمالك، ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ۞﴾ [آل عمران:٢٨].

﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ۞ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۞﴾ الناهي: هو أبو جهل لعنه الله، والعبد المصلي هو محمد ﷺ، فقد كان أبو جهل ينهى النبي عليه الصلاة والسلام عن الصلاة عند الكعبة، ويتوعده، فأنزل الله هذه الآيات. والمعنى: أخبرني – أيها الرسول – عن الطاغية أبي جهل الذي ينهى عبدا لله – وهو محمد عليه الصلاة والسلام – إذا صلى لله سبحانه.

﴿أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ۞ أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ ۞﴾ أي: أخبرني – يا أبا جهل – إن كان محمد الذي تنهاه عن الصلاة على الحق في صلاته لربه، أو أمر الناس

بتوحيد الله وطاعته، فكيف تنهاه عن الصلاة وهو على الحق في نفسه، ويأمر غيره بتقوى الله؟!

﴿أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ١٣﴾ أي: أخبرني - أيها الرسول - عن الطاغية أبي جهل الذي كذَّب بالحق فلم يؤمن بالقرآن، وأعرض عن الإسلام.

﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ١٤﴾ أي: ألم يعلم أبو جهل أن الله يبصر كل شيء، وأنه يراه ويعلم أفعاله ويسمع أقواله؟!

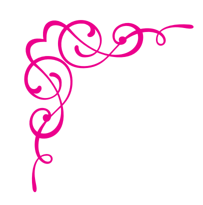
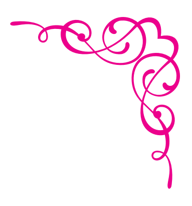
﴿كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ١٥﴾ أي: حقا أُقسِم لئن لم يتب أبو جهل لنأخذن بواسطة ملائكتِنا بمقدم رأسه في الآخرة إذلالا له، ويُقذف في نار جهنم. كما قال سبحانه: ﴿يُعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ بِسِيمَٰهُمۡ فَيُؤۡخَذُ بِٱلنَّوَٰصِي وَٱلۡأَقۡدَامِ ٤١﴾ [الرحمن:٤١]. وقال تعالى: ﴿يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ٤٨﴾ [القمر:٤٨].

﴿نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ ١٦﴾ الناصية هي مقدم الرأس، والمراد: كاذبٌ وآثمٌ صاحبها. أي: ناصيةِ أبي جهل كاذبةٍ في أقوالها، خاطئةٍ في أفعالها.

﴿فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ١٧ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ١٨﴾ النادي: اسمٌ للمكان الذي يجتمع فيه القوم. والزبانية هم ملائكة العذاب. أي: فليدع أبو جهل أهل مجلسه من قومه ليستنصر بهم، سندع ملائكةَ العذابِ الغلاظَ الشدادَ إن دعا أبو جهل قومه. روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن أبا جهل قال: واللات والعزى لئن رأيت محمدا يصلي لأُعَفِّرَن وجهه في التراب، فرأى رسول الله وهو يصلي عند الكعبة،

فذهب إليه ليبر قسمه، فلم يتمكن من الوصول إليه، ورجع فزعا يتقي بيديه! فقيل له: ما لك؟! فقال: إن بيني وبينه خندقا من نار وهولا وأجنحة! فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا»، فأنزل الله عز وجل هذه الآيات. وروى الترمذي هذه القصة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان النبي ﷺ يصلي، فجاء أبو جهل ينهاه عن الصلاة، فانصرف النبي ﷺ من صلاته فزجره، فقال أبو جهل: إنك لتعلم ما بمكةَ نادٍ أكثر مني، فأنزل الله: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾ [العلق:١٧-١٨]). قال العلماء: هذه الآيات وإن نزلت خاصة في أبي جهل فهي عامة لكل من يمنع غيره عن طاعة الله بأن ينزجر قبل أن يعذبه الله، ولمن يمنعه غيره عن الخير بأن يصبر ويثبت على عبادة الله، ولا يطيع من ينهاه.

﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾ أي: ليس الأمر كما يزعم أبو جهل، لا تطعه - يا رسولنا - فيما ينهاك عن الصلاة، واسجد لربك في صلاتك، واجتهد في الاقتراب من الله بالطاعة والسجود. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء». وفي صحيح مسلم أيضا عن ثوبان اليماني رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «عليك بكثرة السجود لله؛ فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة، وحط عنك بها خطيئة».

تدبر سورة القدر

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ①﴾ أي: إنا ابتدأنا إنزال القرآن على النبي في ليلة القدر في شهر رمضان، وقال بعض المفسرين: أُنزِل القرآنُ في ليلة القدر جملة واحدة إلى السماء الدنيا، ثم أُنزِل مفرَّقا خلال ثلاث وعشرين سنة، وكلا القولين صحيح. قال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة:١٨٥].

ثم فخم الله شأن هذه الليلة التي أنزل فيها القرآن فقال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ②﴾ يعني: وأي شيء أدراك ما فضل ليلة القدر؟ وقد سميت ليلة القدر لعِظَم قدرِها وفضلِها عند الله، ولأنه يُقدَّر فيها ما يكون في ذلك العام من الأعمار والأرزاق وغير ذلك كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ③ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ④﴾ [الدخان:٣-٤]. وهي تتنقل في العشر الأواخر من رمضان، روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان». فقد تكون ليلةُ القدر في ليلة إحدى وعشرين، أو ليلةِ ثلاثٍ وعشرين، أو ليلةِ خمسٍ وعشرين، أو ليلةِ سبعٍ وعشرين، وهي أرجاها، وقد تكون في ليلةِ تسعٍ وعشرين،

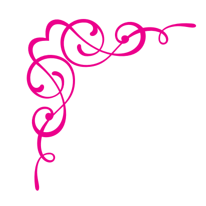
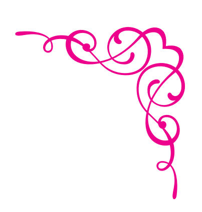
فعلى المسلم الحريص عليها أن يقوم جميع الليالي العشرِ الأواخر من رمضان، فيكون قد قام ليلة القدر بيقين.

﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣﴾ أي: ليلة القدر العمل الصالح فيها أفضلُ من العمل الصالح في ألف شهر، والألفُ الشهرُ ثلاثٌ وثمانون سنة وأربعةُ أشهر، فهي ليلة مباركة، يضاعف فيها أجرُ العملِ الصالح أضعافا كثيرة. فمن قرأ في ليلة القدر مثلا خمسة أجزاء من القرآن فهو أكثر أجرا ممن يقرأ خمسة أجزاء في مدة ألف شهر، ومن صلى مثلا في ليلة القدر عشرين ركعة فهو أكثر أجرا ممن يصلي عشرين ركعة في كل ليلة في مدة ألف شهر، وهكذا من سبح الله أو استغفره أو تصدق، فأجره يضاعف حتى يكون أفضل ممن عمل ذلك العملَ الصالح في ثلاث وثمانين سنة، فهو أجر عظيم جدا على أي عمل صالح في تلك الليلة المباركة، فقد رحم الله هذه الأمةَ التي أعمارُها قصيرةٌ بالنسبة إلى أعمار من قبلها، فجعل للمسلمين في كل رمضان ليلةً واحدةً بعمر طويل، فمن حُرِم خيرُها فقد حُرِم الخيرُ العظيم. روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غُفِر له ما تقدم من ذنبه».

﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤﴾ أي: في ليلة القدر يكثر هبوط الملائكة من السماء إلى الأرض مع الروح الأمين جبريل عليه السلام، ونزول الملائكة يكون بإذن ربهم، وفي تلك الليلةِ يُقَدِّر اللهُ أمورا كثيرة عظيمة تكون في تلك السنة من الخيرات والبركات والأرزاق والآجال. كما قال تعالى: ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ٤﴾ [الدخان:٤]. وهذا هو التقدير السنوي من السنة

إلى مثلها، مما يطلع الله عليه ملائكته، وهو غير التقدير الذي كتبه الله في اللوح المحفوظ من قبل خلق السماوات والأرض، كما قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد:٢٢]. وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة». فلا يكون شيء في الكون إلا بمشيئة الله سبحانه، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان:٢]، فكل ما يكون قد علمه الله، وكتبه في اللوح المحفوظ، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج:٧٠]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير:٢٩].

﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾ أي: ليلة القدر سالمة من كل شر لكثرة خيرها وبركتها، وتُسلِّم الملائكةُ فيها على المصلين والذاكرين، من غروب الشمس إلى طلوع الفجر. فليلة القدر تبدأ بغروب الشمس، وتنتهي بطلوع الفجر، فعلى المسلم أن يجتهد فيها بأنواع العبادات من صلاة وتلاوة وتسبيح وتهليل وتحميد وتكبير واستغفار ودعاء بخير الدنيا والآخرة وصلاة على رسول الله ﷺ وصدقة وغير ذلك من أنواع العبادات، فهي ليلة أعظم من ألف شهر.

تدبر سورة البينة

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ١﴾ أهل الكتاب هم اليهود والنصارى، والمشركون هم عُبَّادُ الأوثانِ الذين ليس معهم كتاب، ومعنى: منفكين أي: منتهين، ومعنى الآية: لم يكن الكفار من اليهود أهلِ التوراة والنصارى أهلِ الإنجيل والمشركين عبدةِ الأصنام منتهين عن الكفر حتى يأتيهم القرآنُ الذي أنزله الله على رسوله محمدٍ ﷺ.

ثم بين الله معنى البينة فقال: ﴿رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ٢﴾ أي: البينة رسولٌ من الله يقرأ عن ظهر قلبه القرآنَ المكتوبَ في صحفٍ بأيدي الملائكة في السماء، وأيدي المسلمين في الأرض، مطهرةٌ من الكذب والباطل. كما قال تعالى: ﴿فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ١٣ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ١٤ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ١٥ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ١٦﴾ [عبس:١٣-١٦].

﴿فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ ٣﴾ أي: في صحف القرآن مكتوباتٌ مستقيمة، أخبارها صادقة، وأحكامها عادلة، تهدي الناسَ إلى الحق في العلم والعمل.

﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ٤﴾ أي: وما اختلف اليهود والنصارى الذين آتاهم الله التوراة والإنجيل إلا من بعد ما جاءتهم رسلهم بكتب الله المبيِّنة للحق، ومن ذلك البشارةُ بمحمدٍ ﷺ، فلما بعثه

الله اختلفوا فيه، فآمن به بعضهم، وكفر به أكثرُهم، فاختلفوا وتفرقوا مع وضوح الحق في كتبهم. كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [البقرة:٨٩]. فالأمم السابقة اختلفوا في الحق مع وضوحه، وهكذا اختلفت هذه الأمة في الحق الذي جاءها من عند الله مع كون الحقِ أوضحَ من الشمس، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران:١٠٥]. فمن ضل عن الحق فليس ضلاله لخفاء الحق، وإنما ضل لسوء نيته وقصده، أو لتعصبه وتقليده دعاةَ الضلالِ من شياطين الإنس والجن، وإلا فمن اعتصم بالله بدعائه وعبادته، واعتصم بالقرآن فتمسك به بتلاوته وتعلمِه وتدبرِه والعملِ به، واتبع سنة رسولِه عليه الصلاة والسلام، وسأل العلماء الراسخين في العلم عن دينه؛ فإنه يهتدي إلى الحق بإذن الله. روى الترمذي وصححه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة». والفرقة الناجية هي المتبعة لكتابِ الله وسنةِ رسوله، التي منهجها ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابُه، ومن منهج الصحابةِ: تدبرُ القرآنِ والاهتداءُ به، وتعلمُ سيرةِ الرسول وسنتِه والاقتداءُ به، ومن منهجهم: العملُ بالعلم ظاهرا وباطنا بقدر الاستطاعة، ومن منهجهم: الخوف من الله، وتركُ العجب بالنفس، ومن منهجهم: التيسيرُ وعدمُ التنطعِ والتكلف، ومن منهجهم: الاجتماع على الحق، وعدمُ التنازع والاختلاف، وسعةُ الصدور في المسائل الاجتهادية، ومن منهجهم: الأمر بالمعروف والنهي عن



المنكر، وتركُ التكفير والتفسيق والتبديع بلا برهان، فمن اتبعهم بإحسان فهو من الفائزين، كما قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة:١٠٠].

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أي: وما أمر الله اليهود والنصارى في كتبهم إلا أن يوحدوا الله بالعبادة فلا يعبدوا غيره، في حال كونهم مخلصين له الطاعة، لا يشركون به شيئا. كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء:٢٥]. والإخلاص أعظم العبادات القلبية، وهو: تصفيةُ العملِ للخالق عن ملاحظة المخلوقين، وتخليصُه من الشرك والرياء والسمعة، وعدمُ إرادةِ شيء من الدنيا به، وإرادة التقرب به إلى الله وحده.

﴿حُنَفَآءَ﴾ أي: مائلين عن الشرك إلى التوحيد، مستقيمين على دين الإسلام. كما قال تعالى: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦ﴾ [الحج:٣١]. وقال سبحانه: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء:٣٦]. فأعظم الواجبات التوحيد، والتوحيد هو إفراد الله بالعبادة، وأعظم المحرمات الشرك، وهو عبادة غيرِ الله معه، فيجب على المسلم أن يعبد الله وحده، ولا يدعو غير الله كائنا من كان، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨﴾ [الجن:١٨] لا ملَكا ولا نبيا ولا وليا ولا شجرا ولا حجرا ولا كوكبا ولا قبرا، لا تعبدْ إلا الله

وحده لا شريك له. قال الله سبحانه: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ١١٠﴾ [الكهف:١١٠].

﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: ويقيموا الصلوات المكتوبة في أوقاتها بشروطها وأركانها وواجباتها.

﴿وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أي: ويعطوا الزكاة المفروضة أهلها المستحقين لها.

﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ٥﴾ أي: وذلك المذكور من التوحيد وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة دين الإسلام المستقيم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ أي: إن الكفار من اليهود والنصارى والمشركين في نار جهنم يوم القيامة، ماكثين فيها أبدا. وفي هذا دليل واضح على أن اليهود والنصارى كفار، وأنهم إن لم يتوبوا من كفرهم في النار. قال الله تعالى لليهود: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾ [البقرة:٤١]. وقال سبحانه عن النصارى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ٧٢ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٣ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٧٤﴾ [المائدة:٧٢-٧٤].

وروى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «والذي نفس

محمد بيده، لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهوديٌ ولا نصراني، ثم يموتُ ولم يؤمن بالذي أرسلتُ به إلا كان من أصحاب النار». فلا يجوز لمسلم أن يصحح دين اليهود والنصارى، فقد أخبرنا الله في كتابه عن ضلالهم، وحذرنا من طاعتهم وموالاتهم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٦﴾ أي: هؤلاء الكفار من اليهود والنصارى والمشركين هم شر المخلوقات، فهم شرٌ من الكلاب والخنازير والقردة والحشرات؛ لأنهم لم يعبدوا الله وحده، ولم يصدقوا القرآن، وأعرضوا عنه وهو كلام الله، ولم يؤمنوا برسوله محمدٍ عليه الصلاة والسلام الذي أرسله الله ليخرج الناس من الظلمات إلى النور. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٥٥﴾ [الأنفال:٥٥]. وقال سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ۝١٧٩﴾ [الأعراف:١٧٩]. فلا يجوز للمسلم أن يعظم الكافرين، حتى ولو كانوا علماء بالدنيا، فهم جاهلون بالله ودينه، وغافلون عن الآخرة، قال الله تعالى: ﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ [الروم:٧]. ولا يجوز للمسلم أن يحب الكافرين ولو كانوا أقاربه، كما قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡ﴾ [المجادلة:٢٢].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧﴾ أي: إن الذين آمنوا بالله ورسوله محمدٍ، وبما جاء به، وعملوا الأعمال الصالحة، أولئك هم خير المخلوقات.

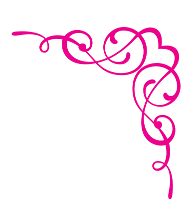
﴿جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗا﴾

جنات أي: بساتين، وعدن أي: إقامة، فمعنى الآية: ثوابهم في الآخرة عند ربهم بساتينُ إقامة تجري من تحت أشجارها الأنهار، ماكثين في الجنة أبدا، يتنعمون فيها كل وقت، فلا يموتون فيها، ولا يخرجون منها.

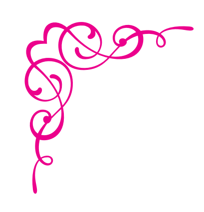
﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ أي: رضي الله عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات بسبب إيمانهم وطاعتِهم لله ورسوله، ورضوا هم عن الله لإدخالهم جنته.

﴿ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ أي: هذا الثواب العظيم في الجنة يكون لمن خاف الله في الدنيا، فامتثل الواجبات، واجتنب المحرمات. كما قال تعالى: ﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٖ ﴿٣٢﴾ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾ [ق:٣١-٣٣].





تدبر سورة الزلزلة



﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ١﴾ أي: إذا رُجَّت جميعُ الأرض يوم القيامة، وتحركت بشدة، وتهدم كل ما عليها. كما قال تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا ٤﴾ [الواقعة:٤]. وقال عز وجل: ﴿كَلَّآۖ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ٢١﴾ [الفجر:٢١].

﴿وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ٢﴾ أي: وأخرجت الأرض ما فيها من الأموات حين يبعثهم الله أحياء للحساب والجزاء يوم القيامة. كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ٣ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ٤﴾ [الانشقاق:٣-٤]. وقال سبحانه: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾ [المطففين:٦].

﴿وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا ٣﴾ أي: وقال الناس يوم القيامة متعجبين خائفين: ما للأرض زُلزلت وقد كانت ساكنة؟!

﴿يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ٤﴾ أي: يوم القيامة تتكلم الأرض بقدرة الله بما فعل الناس على ظهرها من خير أو شر، فتشهد على الناس بأعمالهم. فالله يجعل الأرض تتكلم يوم القيامة بقدرته، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ [فصلت:٢١]. وروى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «المؤذن يُغفر له مدى صوته، ويشهد له كل رطب ويابس».

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ أي: يوم القيامة تحدث الأرض أخبارها بسبب وحي الله إليها، وإذنه لها بأن تتكلم. كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝١١٧﴾ [البقرة:١١٧].

﴿يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٦﴾ أي: يوم القيامة ينصرف الناس عن موقف الحساب فرقا كثيرة، فمنهم من يساق إلى الجنة، وهم المؤمنون المتقون، ويكونون متفاوتين في درجات الجنة، ومنهم من يساق إلى النار، وهم الكفار والمنافقون والفجار، ويكونون متفاوتين في دركات النار؛ ليرى كل إنسان عمله من خير أو شر مكتوبا، ويرى جزاء عمله من الثواب في الجنة أو العقاب في النار. كما قال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ۝١٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ۝١٥ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ۝١٦﴾ [الروم:١٤-١٦].

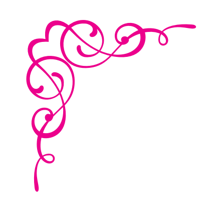
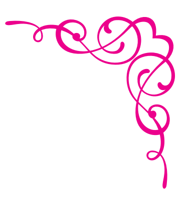
﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧﴾ مثقال أي: وزن، والذرة هي صغار النمل الأحمر، والمعنى: فمن يعملْ في الدنيا وزن ذرة من خير يره مكتوبا في كتابه، ويجد ثوابه في الجنة. كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا﴾ [النساء:٤٠].

﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨﴾ أي: ومن يعمل في الدنيا وزن ذرة من شر يره مكتوبا في كتابه، ويجد عقابه في النار. كما قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ



وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴿٤٩﴾ [الكهف:٤٩]. ما أعظم هذه السورة، فهي موعظة كافية، وقد سمعها بعض الصحابة رضي الله عنهم فقال: حسبي، لا أبالي أن لا أسمع غيرها، فالمؤمن العاقل يتذكر بمواعظ القرآن، وهي خير المواعظ، والشقي لا ينتفع بما يسمع.



تدبر سورة العاديات

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ۝١﴾ الواو هذه واو القسم، والعاديات هي الخيل التي تجري، أقسم الله سبحانه بالخيل حين تجري في القتال في سبيل الله، والضَّبْح: صوتٌ يُسمع من صدور الخيل عند جريها الشديد، والمعنى: أُقسم بالخيل المسرعات ولها صوتٌ يُسمع في صدرها. وفي هذا بيان عظيم منزلة الخيل، وأهمية الفروسية، وفضل الجهاد في سبيل الله.

﴿فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ۝٢﴾ أي: فالخيل توري النارَ بحوافرها حين تجري في أرضٍ صُلبة، فإذا ضربت بقوائمها بقوة تظهر شرارةُ نارٍ بسبب شدة انصدام قوائمها بالحجارة أو الأرض الصُّلبة.

﴿فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ۝٣﴾ أي: فالخيل التي يركبها الفُرسان تغير على العدو وقت الصباح الباكر وهم في غفلة.

﴿فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ۝٤﴾ أي: فهيجت الخيل بسبب جريها غبارا مرتفعا في موضع القتال.

﴿فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا ۝٥﴾ أي: فصارت الخيل بركبانهن وسطَ جمعِ الأعداء.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾ هذا جواب القسم، فقد أقسم الله في هذه الآيات بالخيل في عدةٍ من أحوالها على أن الإنسان لكنود أي: لكفورٌ لنعم الله عليه، فطبيعة الإنسان أن نفسه لا تسمح بأداء ما عليه من حقوق لله ولعباده، بل طبيعتها الكسلُ والمنعُ لما عليها من الحقوق البدنية والمالية إلا من هداه الله، فالإنسان قليلُ الخير، يتكاسلُ عن عبادة الله، ويقصرُ في حقوق عباد الله، لا يشكر الله على نعمه، ولا يستعملها في طاعته، ويَعُد المصائب، وينسى النعم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ۝١٥﴾ [الزخرف:١٥]. وهذا الخُلُق السيء يعرض لكل إنسان على درجات متفاوتة، ولا يسلم منه إلا الأنبياء ومن هداهم الله من الصالحين الأتقياء، وهو خلق متأصل في طبيعة الإنسان لا يدفعه إلا أن يحاسبَ نفسَه، ويتقي ربه، أو يذكِّرَه غيرُه فيتذكرُ ويتوب.

﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧﴾ أي: وإن الإنسان على كفره بنعم الله عليه لشهيدٌ بحاله وأعماله، فعدم شكر الإنسان لنعم الله، وتقصيرِه في أداء حقوق الله وحقوقِ عباده ظاهرٌ عليه في أقواله وأفعاله.

والإنسان يحس بذلك من نفسه في خطراته، ويتوانى أو يغفل عن مقاومته؛ لأنه يشتغل بإرضاء نفسه، ويتبع هواه ورغباته، إلا من رحم الله.

﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾ الخير في هذه الآية هو المال باتفاق المفسرين رحمهم الله، والمال يسمى خيرا، لما يحصل به من الخير الكثير إذا استعمله الإنسان فيما يرضي الله. أي: وإن الإنسان لشديد المحبة للمال. كما قال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝٢٠﴾ [الفجر:٢٠]. فبين الله في هذه الآية أن الإنسان شديد المحبة

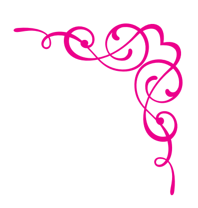
للأموال، يجمعها من حلال أو حرام، ويبخل بها فلا ينفقها فيما يرضي الله، إلا من وقاه الله شحَ نفسِه، فقنع بالحلال، وأخرج زكاة ماله، وتصدق على المحتاجين، وتقرب إلى الله بفعل الخيرات، ونعم المالُ الصالحُ للرجلِ الصالح.

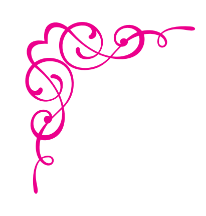
﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ۝٩﴾ أي: أفلا يتيقن الإنسانُ الكنودُ لربه، المحبُ للمال، إذا أخرج الله ما في القبور من الأموات الأولين والآخرين للحساب يوم القيامة، فيخافُ عذاب الله، فلا يقصرُ في طاعة الله، ولا يعصي اللهَ بسبب المال، ويشكرُ اللهَ على نعمه؟! كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤﴾ [الانفطار:٤].

﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠﴾ أي: وميز الله وأظهر ما في قلوب الناس من الإيمان والكفر، والخير والشر، وجازاهم على نياتهم. كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩﴾ [الطارق:٩]. وقال سبحانه: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾ [الشعراء:٨٨-٨٩].

﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝١١﴾ أي: إن رب الناس بهم يوم القيامة لخبير، لا يخفى عليه شيء من أحوالهم وأعمالهم الظاهرةِ والباطنة، وسيجازيهم عليها.







تدبر سورة القارعة

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿ٱلۡقَارِعَةُ ۝١﴾ أي: القيامة التي تقرع قلوبَ الناس بأهوالها. فالقارعة من أسماء يوم القيامة، عظَّمه الله، وحذَّره عباده.

﴿مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٢﴾ يعني: أيُّ شيء صفة القيامة العظيمةِ الأهوال؟!

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٣﴾ الخطاب لغير معين، فهو خطاب لكل واحد منا، أي: وما عرفك - أيها الإنسان- بِعِظَم يومِ القيامة وأهوالِها؟! فأهوالها شديدة لا تخطر على البال، يشيب منها الولدان الصغار الذين ليس عليهم آثام، فكيف بنا؟! كما قال تعالى: ﴿فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا ۝١٧ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ۝١٨﴾ [المزمل:١٧-١٨]، يصيبُ الناسَ فيها من الكرب والبلاء ما لا يحتملون، وما لا يُطيقون.

﴿يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ۝٤﴾ أي: يوم القيامة يكون الناسُ حين يخرجون من قبورهم في انتشارهم وحيرتهم كالفَراش المفرَّق الذي يتساقط في السراج. كما قال تعالى: ﴿خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ ۝٧﴾ [القمر:٧]. وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ

حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ﴿٢﴾﴾ [الحج:١-٢].

﴿وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ﴿٥﴾﴾ أي: وتكون الجبال يوم القيامة في خفتها وضعفها وتطايرها كالصوف المندوف الذي يُنفش. كما قال تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا ﴿١٠٥﴾﴾ [طه:١٠٥]. وقال عز وجل: ﴿وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا ﴿٥﴾ فَكَانَتۡ هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا ﴿٦﴾﴾ [الواقعة:٥-٦].

﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴿٧﴾﴾ أي: فأما من ثقلت موازين حسناته، ورجحت على سيئاته فهو في عيشة في الجنة مرضية، قد رضيها المؤمن؛ ففي الجنة من النعيم ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطرَ على قلب بشر. كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف:١٠٧-١٠٨]. روى مسلمٌ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من يدخلُ الجنةَ ينعمُ لا يبأس، لا تبلى ثيابُه، ولا يفنى شبابُه». وروى مسلم أيضا عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ينادي مناد: إن لكم أن تصِحُّوا فلا تسقموا أبدا، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا، وإن لكم أن تشِبوا فلا تهرموا أبدا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا».

﴿وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ﴿٩﴾﴾ أي: وأما من خفت موازين حسناته، ورجحت سيئاته على حسناته فمأواه جهنمَ البعيدة القعر، يهوي فيها،



وتلازمه كما تلازمُ الأمُ ولدها. كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المؤمنون:١٠٣]. والهاوية من أسماء النار، وقعرها مسافة سبعين سنة كما جاء في الحديث الصحيح، فالنار تحضن الكافر من جميع جوانبه كما تحضن الأم ولدها، وهي مأواه التي يرجع إليها، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [السجدة:٢٠].

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾﴾ أي: وما عرَّفك - أيها الإنسان - ما الهاوية البعيدة القعر؟! فهو خطاب من الله لكل من يسمع أو يقرأ هذه الآية، يخوفنا الله من النار، حتى لا نكون من أهلها.

﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ أي: هي نار شديدة الحرارة، قد بلغت الغايةَ في شدة الحرارة، فهي النار الكبرى، وهي أشد من نار الدنيا بتسعة وستين مرة. روى الإمامان البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا».






تدبر سورة التكاثر

هذه السورة فيها عتاب ووعيد من الله لعباده، وهي خطاب من الله لكل واحد منا، وكفى بها موعظةً لمن عَقَلها، فنسألُ الله أن يجعلنا من المتقين المهتدين بالقرآن.

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ١﴾ أي: شغلكم -أيها الناس- عن طاعة الله التكاثرُ بالأموال والأولاد وغيرِ ذلك من متاع الدنيا الذي تحبونه، وتتفاخرون بكثرته. قال العلماء: التكاثر هو طلب الإنسانِ أن يكون أكثرَ من غيره، والتكاثر مذموم إلا فيما يقرب إلى الله، فيدخل في التكاثر المذمومِ كلُ ما يُشغلك عن طاعة الله، ومن ذلك في عصرنا طلبُ كثرة المعجبين والمتابعين في وسائل التواصل الاجتماعي، فهو من التكاثر المذموم المشغلِ عن طاعة الله، إلا إن كان يريد صاحبه بذلك الخيرَ، كأن يُعلِّم الناسَ ما ينفعهم، و «إنما الأعمال بالنيات». فالتكاثر بالدنيا مذموم، كما قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ١٤﴾ [آل عمران:١٤]. وقال: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ﴾ [الحديد:٢٠].

﴿حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ۝٢﴾ أي: شغلكم التكاثر بالدنيا عن طاعة الله إلى أن متم وصرتم من أهل القبور. فلم تنشلغوا بالدنيا الفانية عن الآخرة الباقية مدةً يسيرة، بل استمرت غفلتكم إلى أن متم، كما قال تعالى معاتبا عباده: ﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ۝١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ۝١٧﴾ [الأعلى:١٦-١٧]. فأكثر الناس في غفلة عن عبادة الله، قد شغلتهم الدنيا عن طاعته، وعن تدبر كتابِه وتعلمه واتباعِه، كما قال تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ۝١ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡ﴾ [الأنبياء:١-٣]. وفي قوله: ﴿حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ۝٢﴾ تنبيه على أن الزائر لا بد أن ينتقل عن مزاره، فهو تنبيه على البعث يوم القيامة، ولذلك لا يصِح أن يقال عن القبر: المثوى الأخير، بل المثوى الأخير بعد البعث من القبور، فدار القرارِ والمستقرِ الجنة أو النار.

﴿كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٣﴾ أي: انزجروا - أيها الناس - عن الانشغال بالتكاثر عن طاعة الله، سوف تعلمون بعد موتكم ما يأتيكم من العذاب في القبور وفي الآخرة. قال شيخ المفسرين محمد بن جرير الطبري رحمه الله: (في هذا دليل على عذاب القبر؛ لأن الله تعالى أخبر عن هؤلاء القوم الذين ألهاهم التكاثر أنهم سيعلمون ما يلقون من العذاب إذا زاروا القبور).

﴿ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٤﴾ تهديد بعد تهديد، ووعيد بعد وعيد، والمعنى: ثم انزجروا عن الانشغال بالتكاثر عن طاعة الله، سوف تعلمون بعد موتكم ما يأتيكم من العذاب في البرزخ والآخرة لانشغالكم بالدنيا عن عبادة الله.

﴿كَلَّا﴾ أي: انزجروا عن الانشغال بالتكاثر عن طاعة الله. وقد تكررت (كلا) في هذه السورة ثلاث مرات، وهي للزجر عن الانشغال بالدنيا عن الآخرة.

﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥﴾ أي: لو تعلمون - أيها الناس - علما يقينا أن الله سيبعثكم بعد موتكم، وسيحاسبكم ويجازيكم يوم القيامة على أعمالكم؛ لما ألهتكم الدنيا الفانيةُ عن عبادة الله. روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط، قال: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا، ولبكيتم كثيرا».

﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦﴾ هذه اللام واقعة في جواب قسمٍ محذوف، أي: أُقسِم لترون الجحيم يوم القيامة.

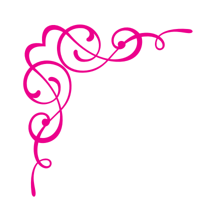
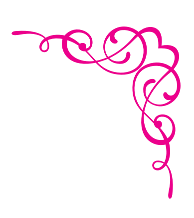
كما قال تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ۝٣٦﴾ [النازعات:٣٦]. فكل الناس حتى المسلمين سيرون جهنم، ويكلفون المرور على الجسر الذي عليها، فيرونها تحتهم، فيتساقط أكثر الناس في الهاوية، ولا يثبت إلا من ثبته الله، كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۝٧٢﴾ [مريم:٧١-٧٢].

﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧﴾ أي: ثم أُقسِم لترون الجحيم يوم القيامة رؤية حقيقية بأبصاركم، ليست رؤيةً خيالية، ولا منامية.

﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ أي: ثم أُقسِم ليسألنكم الله يوم القيامة عن جميع نعمه التي أنعم بها عليكم في الدنيا من الشراب والطعام والمال والصحة والأمن وغير ذلك، هل شكرتم الله عليها بطاعته أو لم تشكروه؟ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۝٢٤٣﴾ [البقرة:٢٤٣]. وقال سبحانه: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ۝٣٤﴾ [إبراهيم:٣٤]. روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة من النعيم أن يُقال له: ألم نُصِحَّ لَكَ جِسْمَكَ، وَنُرْوِيَكَ مِنَ المَاءِ البَارِدِ؟». وروى الترمذي أيضا عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه». وروى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ قال: (النعيم: صحة الأبدانِ والأسماعِ والأبصار، يسأل الله العباد فيم استعملوها، وهو أعلم بذلك منهم، وهو قوله: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ۝٣٦﴾ [الإسراء:٣٦]). وعن مجاهدٍ قال: (يسألون عن كل شيء من لذة الدنيا). فيجب علينا أن نشكر الله على جميع نعمه، ومَن أكل من الطيبات، واستمتع بملذات الدنيا الحلالِ من غير أن يشكر الله عليها فهو مذموم، والشكر يكون بالقلب واللسان والعمل، فشكرُ النعمة بالقلب أن تعتقد أنها من عند الله وحده، وشكرُها باللسان أن تحمد الله عليها بلسانك، مثل أن تحمد الله بعد الأكل

والشرب، وشكرُ النعم بالعمل أن تستعملها في طاعة الله، ولا تستعينُ بها على المعاصي، فمن عصى الله بأي نعمة فإنه لم يقم بشكرها؛ ولذلك أخبر الله في كتابه أن أكثر الناس لا يشكرون، وأخبر أن الشاكرين قليل.



تدبر سورة العصر

هذه السورة قال عنها بعض العلماء: لو ما تدبر الناس إلا هذه السورة لكفتهم، فهي سورة عظيمة، وموعظة بليغة، جمع الله فيها الدين كله، وقد أقسم الله فيها قسما عظيما لتأكيد خبر مخيف، وهو أن جميع الناس خاسرون، وإلى النار صائرون إلا من اتصف بأربع صفات، فقال سبحانه:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾

العصر هو الزمن، كما يقال: عصر الصحابة أي: زمنهم، والعصر القديم، والعصر الحاضر أي: الزمن القديم والحاضر، أقسم الله بالزمن على أن جميع الناس في خسارة، كل الناس في ضلال وهلاك، كل الناس صائرون إلى جهنم إلا القليل، قال الله سبحانه: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ۝١٠٣﴾ [يوسف:١٠٣]، وقال عز وجل: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام:١١٦]، وقال سبحانه: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص:٢٤]. فالناجون من الخسارة قليل، وهم الذين اتصفوا بأربع صفات بينها الله في هذه السورة، وهي:

الصفة الأولى: الإيمان ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره. كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة:١٧٧]. وقال سبحانه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر:٤٩]. وفي صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قصة سؤال جبريل عليه السلام، قال للنبي ﷺ: أخبرني عن الإيمان، قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره».

الصفة الثانية: العمل الصالح، ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: وعملوا الأعمال الصالحة بإخلاصٍ لله ومتابعةٍ للرسول عليه الصلاة والسلام، فالعمل الصالح هو: السالم من الرياء، المقيد بالسنة، فإن كان العمل خالصا لله، وليس مقيدا بسنة رسول الله فهو بدعة، وليس عملا صالحا، وإن كان العمل مقيدا بالسنة، ولكنه غير خالص لله، فهو رياء، وليس عملا صالحا، فلا بد لقبول العمل من تحقق الإخلاص لله، والمتابعة لرسول الله، وأعظم الأعمال بعد الشهادتين: إقامة الصلاة، وصوم شهر رمضان، وإيتاء الزكاة، وحج البيت الحرام لمن استطاع إليه سبيلا.

الصفة الثالثة: التواصي بالحق، ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: وأوصى بعضهم بعضا بطاعة الله ورسوله، فالدين النصيحة، ومن صفات المؤمنين والمؤمنات: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قال الله سبحانه: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ

أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة:٧١].

الصفة الرابعة: التواصي بالصبر، ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ أي: وأوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله، والصبر عن معصيته، والصبر على أقدار الله المؤلمة، فالصبر ثلاثة أقسام: صبر على الطاعات، وصبر عن المعاصي، وصبر على أقدار الله المؤلمة.

صبر على الطاعات: فالطاعات تحتاج إلى صبر على أدائها كما قال سبحانه: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾ [مريم:٦٥].

وصبر عن المعاصي: فالنفس أمارة بالسوء، فعلى المسلم أن ينهى نفسه عن هواها، قال سبحانه: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾ [النازعات:٤٠-٤١].

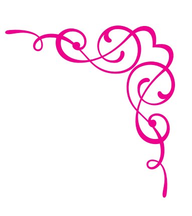
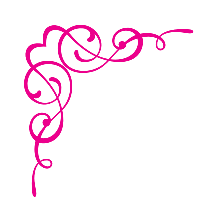
وصبر على أقدار الله المؤلمة، فالله يبتلي عباده بما يشاء كما قال: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ۝١٥٧﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

وهذه السورة تبين أهمية العمل الصالح، فليس الإيمان بالتمني، ولا بالتحلي، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل، ومن زعم أنه مؤمن من غير أن يعمل

الصالحات فهو كاذب في إيمانه، فلا بد للنجاة من الخسران أن تجمع بين الإيمان والعمل الصالح. وتأمل هذه الصفات الأربع، فكل صفة تدخل في التي قبلها، وخصها الله بالذكر لأهميتها، فالتواصي بالصبر هو من التواصي بالحق، والتواصي بالحق هو من العمل الصالح، والعمل الصالح هو من الإيمان، فالإيمان اعتقاد وقول وعمل.





تدبر سورة الهمزة

الإسلام دين الأخلاق، وقد بعث الله نبيه محمدا ﷺ ليتمم مكارم الأخلاق، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح، وقد جاء الوعيد الشديد لمن كان سيئ الأخلاق، ومن ذلك ما جاء في هذه السورة الكريمة:

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١﴾ بدأت هذه السورة بكلمة ويل، وهي كلمة وعيد، وقد ورد في حديث ضعيف: (ويل واد في جهنم)، لكن هذا الحديث لا يصح، فمعنى الآية: عذابٌ شديدٌ وهلاكٌ ثابتٌ يوم القيامة لمن يطعن في أعراض الناس في غيبتهم، أو في حضورهم. فالهماز يحتقر الناس ويغتابهم من خلف ظهورهم، واللماز يواجههم بكلمة السوء أمامهم، والهمز واللمز من الأخلاق السيئة، ومن صفات المنافقين كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ﴾ [التوبة:٧٩]. وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِ﴾ [الأحزاب:١٩].

﴿ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ٢﴾ أي: الذي جمع مالا كثيرا من الحلال والحرام، وأحصى عدده مرة بعد مرة خشية نقصه، فهو لا ينفق منه في طاعة الله سبحانه. كما قال تعالى: ﴿وَجَمَعَ فَأَوۡعَىٰٓ ١٨﴾ [المعارج:١٨]. ولا حرج على من يجمع المال من

الحلال، ويخرج زكاته، وينفق منه في طاعة الله، وإنما الإثم على الذي يجمعه من الحرام، أو لا يخرج زكاته كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة:٣٤-٣٥].

﴿يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ﴿٣﴾﴾ أي: يظن هذا البخيل أن ماله الكثير يخلده في الدنيا لطول أمله، واغتراره بماله.

﴿كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ﴿٤﴾﴾ أي: ليس الأمر كما يظن هذا الإنسان أن ماله يخلده في الدنيا، أُقسِم ليُطرحنَّ يوم القيامة في جهنم التي تحطم وتكسر ما يُلقى فيها.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ﴿٥﴾﴾ الخطاب لكل سامع، يعني: وأي شيء أعلمك ما الحطمة؟!

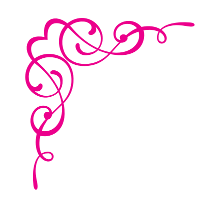
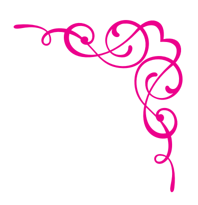
﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ﴿٦﴾﴾ أي: هي نار الله المسعَّرة، فالحطمة من أسماء جهنم. كما قال تعالى: ﴿فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ [الليل:١٤].

﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ﴿٧﴾﴾ أي: النار التي تبلغ قلوب الكافرين والمنافقين الذين فيها بعد إحراقها أجسامهم، فألمها وشدة حرها يصل إلى القلوب، ومع ذلك لا يموت الكافر والمنافق في النار كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِي يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [الأعلى:١٢-١٣].

﴿إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ٨﴾ أي: إن نار جهنم على أهلها الكافرين والمنافقين الذين من صفاتهم الهمز واللمز مغلقة الأبواب، لا يخرجون منها أبدا. كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٤٣ لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ٤٤﴾ [الحجر:٤٣-٤٤]. وقال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف:٢٩] أي: سورها.

﴿فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ٩﴾ أي: أبواب جهنم مغلقة بأعمدة ممدودة من خلف الأبواب، فلا يتمكن أحد من فتحها والخروج منها، ويُعذَّب أهل النار بأعمدة طويلة.



تدبر سورة الفيل

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ١﴾ أصحاب الفيل، هم أبرهة الحبشي ومن معه من نصارى الحبشة الذين احتلوا اليمن قبل الإسلام، وساروا بجيش عظيم معهم فيلٌ ليهدموا الكعبة، فأهلكهم الله بقدرته، وكان ذلك عامَ مولدِ النبي ﷺ. والخطاب للرسول ﷺ، وهو وإن لم يشهد تلك الحادثة لكنه شاهد آثارها، وسمع بالتواتر أخبارها، فكأنه رآها، والخطاب وإن كان للنبي ﷺ فهو عام لأمته، أي: ألم تروا ما فعلتُ بأصحاب الفيل الذين أرادوا هدم الكعبة؟

﴿أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ ٢﴾ أي: ألم يجعلِ اللهُ سعيهم في هدم الكعبة وصرفِ الناس عن الحج إليها في ضلال وضياع؟ فلم يتمَّ مكرُهم الذي اجتهدوا في تحقيقه، فقد كان أبرهةُ بنى كنيسة في صنعاء، وأراد أن يصرف الناسَ ليحجوا إليها بدل الكعبة، وكان يريد أن ينشر دينَ النصرانيةِ المحرفِ بين العرب.

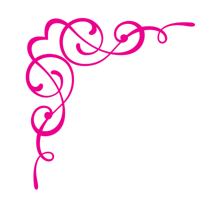
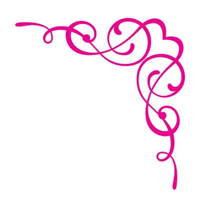
﴿وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ٣﴾ أي: وأرسل الله على جيش أبرهةَ طيورا كثيرة متفرقة، يتبع بعضها بعضا، تحمل الحجارة في مناقيرها وأرجلها.

﴿تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ٤﴾ أي: ترمي تلك الطيورُ جنودَ أبرهةَ بحجارة من طين متحجر فهلكوا.

﴿فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ ٥﴾ أي: فجعل الله أولئك الجنود الذين أرادوا هدم الكعبة مثلَ زرعٍ أكلته الدوابُ فقطَّعته ثم راثته. شبه الله تقطعَ أجسامِهم بتفرق أجزاءِ الزرع حين تأكله الدواب وتقطعه ثم يكون روثا. وفي هذه السورةِ بيانُ كمالِ قدرةِ الله، وأنه يبطل كيدَ الكافرين بما شاء، ﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر:٣١]، وأن النصر من عند الله، وبيانُ حرمةِ مكةَ المكرمةَ زادها الله تشريفا وتعظيما.





تدبر سورة قريش

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

قريش هم قبيلة النبي محمد ﷺ، فهو مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضِرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بن مَعَدِّ بنِ عدنان، وعدنان من نسل إسماعيلَ بنِ إبراهيم عليهما الصلاة والسلام. وفِهر بنُ مالكِ بنِ النضرِ بنِ كنانة هو الملقَّب قريش، وإليه تجتمع أنساب جميع قبيلة قريش، وهم خير القبائل، وفي صحيح مسلم عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ».

ومن نعم الله على قريش أن بعث رسوله محمدا عليه الصلاة والسلام منهم، ولكنهم كانوا في أول الإسلام من أشد الناس كفرا برسول الله، فقد كذبوه وآذوه وآذوا أصحابه، وأصروا على الشرك بالله، ولم يؤمن من أهل مكة إلا القليل، وهم الصحابة المهاجرون رضي الله عنهم، فأنزل الله هذه السورة يحث أهل مكة على توحيد الله والإيمان برسوله فقال: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١﴾ أي: اعجبوا لاجتماع قبيلة قريش في بلدهم مكة آمنين، بخلاف غيرهم من قبائل العرب الذين كانوا في

خوف في أوطانهم وفي أسفارهم، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت:٦٧]، فكان العرب لا سيما بعد حادثة الفيل يحترمون أهل مكة، ويقولون: قريشٌ سكانُ حرم الله، وكانت لقريشٍ رحلتان في كل سنة: رحلةٌ في الشتاء إلى اليمن، ورحلةٌ في الصيف إلى الشام، وكانوا آمنين في سفرهم، لا يعرض لهم قطاعُ الطريق، وكانوا في رغدِ عيشٍ بسبب هاتين الرحلتين التجاريتين، فذكَّرهم الله بهذه النعمة ليشكروه ويعبدوه وحده.

﴿إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢﴾ أي: اجتماعُ قبيلةِ قريش واعتيادُهم كل عام رحلة الشتاء إلى اليمن، ورحلة الصيف إلى الشام للتجارة.

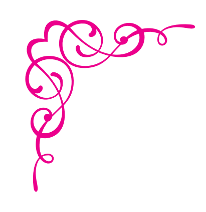
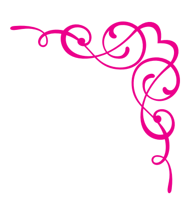
﴿فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣﴾ أي: فليوحدوا الله رب الكعبة الذي جعل لهم بسببها خيرا كثيرا في إقامتهم وأسفارهم، وليشكروه بإخلاص العبادة له، ولا يعبدوا غيره.

﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ أي: الله رب الكعبة الذي أطعم قريشا بعد جوعهم، ورزقهم بعد فقرهم، مع كونهم في واد غير ذي زرع، فقد استجاب الله دعاء نبيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [البقرة:١٢٦].

﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤﴾ أي: وآمن الله قريشا من كل خوف في حضرهم وأسفارهم، فلم يكونوا يخافون كغيرهم من العرب الذين كان يقتل بعضهم بعضا في الجاهلية، ويسلب بعضهم بعضا بالغارات على المقيمين، وقطعِ الطرق على المسافرين. كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ

شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾ [القصص:٥٧]. فهما نعمتان عظيمتان أنعم الله بهما على قريش، نعمةُ الرزق، ونعمةُ الأمن، فلم يشكروا الله على هاتين النعمتين، وكفروا بالله ورسوله، وحاربوا أصحابه، واضطروهم للخروج من مكة، فسلب الله كفار قريش نعمةَ الرزق ونعمةَ الأمن، فصاروا في جدبٍ وخوفٍ كما قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [النحل:١١٢-١١٣]. وبعد أن فتح الله على رسوله مكة، عفا عن كفار قريش، فدخلوا في الإسلام، ووعدهم الله الجنة وإن تأخر إسلامُهم، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد:١٠]. ويستفاد من هذه السورة أن من أعظم واجبات ولاةِ الأمر: توفيرُ الغذاء، وتحقيقُ الأمن، فمن أعظمِ النعمِ الدنيوية: نعمةِ تيسيرِ الرزق، ونعمة الأمن.



تدبر سورة الماعون

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١﴾ الخطاب عام لكل من يتوجه إليه الخطاب، فهو خطاب للنبي ﷺ ولأمته، ومعنى: أرأيت أي: أخبرني، فمعنى الآية: أخبرني عن الكافر الذي يُكذِّب بالبعث والحساب يوم القيامة، هل هو مصيب أو مخطئ؟! لا شك أنه مخطئٌ أعظمُ الخطأ، وسيخسرُ الخسرانَ العظيمَ حين يبعثه الله ويحاسبه ويعذبه في جهنم. ثم ذكر الله بعضَ صفات الكافرين الذين لا يطيعون الله، ولا يخافون عذابه، فهم لا يرحمون اليتامى والمساكين، فقال تعالى:

﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢﴾ أي: فذلك الذي يدفع اليتيم عن حقه بشدة وعنف، ويظلمُه ولا يُكرمه. والواجب على المسلم أن يكرم اليتيم الذي مات أبوه وهو صغير لم يبلغ الحلم، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩﴾ [الضحى:٩]، وقال عز وجل: ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ۝١٧﴾ [الفجر:١٧]. وأكثر من يظلم اليتامى أقاربُهم، كالأخ الكبير أو العم أو ابن العم ونحوهِم، فيجب الحذر من ظلم اليتامى وأكلِ حقوقهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۝١٠﴾ [النساء:١٠]. ومن كان وليا على مال اليتيم فليحذر أن يقربه إلا بالتي هي أحسن، وذلك بأن

ينفق على اليتيمِ من مالِه الذي ورثه من أبيه بالمعروف بلا إسراف، أو يتاجر له في ماله لينميه له، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [الأنعام:١٥٢].

﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣﴾ أي: ولا يحث أهله وغيرهم من الناس على إطعام المساكين المحتاجين بخلا بالمال، أو تكذيبا بالجزاء. والواجب على المسلمين أن يتراحموا فيما بينهم، وأن يطعموا المساكين، وخير الناس من أطعمَ الطعام، ومن لم يستطع أن يطعم الناس بماله لفقره فليحض غيره على إطعامهم، وقد ذم الله الذين لا يحضون على إطعام المساكين فقال تعالى: ﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝١٨﴾ [الفجر:١٨].

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ أي: فعذابٌ شديدٌ للمصلين، الذين يتهاونون في صلاتهم بتركها أحيانا أو بصلاتها في غير أوقاتها أو بعدم الطمأنينة فيها، فهم عن صلاتهم لاهون، لا يحافظون على أدائها في أوقاتها بشروطها وأركانها وواجباتها، ويتشاغلون عنها بغيرها لعدم حرصهم عليها، وهذا من علامات النفاق كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٤٢﴾ [النساء:١٤٢]. وقال سبحانه: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ۝٥٤﴾ [التوبة:٥٤]. وقال عز وجل: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ

فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ [مريم:٥٩]. فيجب على المسلم أن يُعظِّم قدر الصلاة، وأن يحافظ عليها في أوقاتها، ولا يجوز له تأخير الصلاة عن وقتها، لكن يجوزُ عند الحاجة أن يجمعَ المسلمُ بين صلاتي الظهر والعصر في وقت إحداهما، ويجمعَ بين صلاتي المغرب والعشاء في وقت إحداهما، جمعَ تقديم أو تأخير، كأن يكون مسافرا أو مريضا أو عند المطر ونحو ذلك من الأعذار، فالمسلم لا يترك الصلاة أبدا ولو كان مسافرا أو مريضا، ويستعين بالصلاة على قضاء حاجاته وتنفيذِ مهماتِه، فهي خير معين على جميع الأمور، كما قال تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة:٤٥]. وعلى الرجال أن يصلوا الفرائض جماعة في المساجد، كما قال تعالى: ﴿وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة:٤٣]، وقال عز وجل: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور:٣٦-٣٧]. واعلموا - رحمكم الله - أن من يتهاونُ بصلاته ولو بترك فريضةٍ واحدةٍ فهو فاسقٌ مجرم، وقد توعده الله بالعذاب الأليم، وأما من يترك الصلاة بالكلية فهو كافر، قال الله تعالى: ﴿إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المدثر:٣٩-٤٣]، وعن بُريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر» رواه الترمذي وصححه. ولم يكن أصحابُ النبي ﷺ يرون شيئا من الأعمال تركُه كفرٌ غيرُ الصلاة. قال ابن القيم رحمه الله في كتابه الصلاة: "لا يختلف المسلمون أن ترك الصلاةِ المفروضةِ عمدا

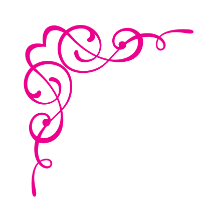
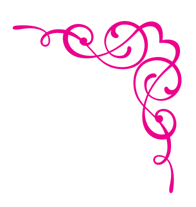
من أعظم الذنوب، وأكبرِ الكبائر، وأن إثمه عند الله أعظمُ من إثمِ قتلِ النفس، وأخذِ الأموال، ومن إثمِ الزنا، والسرقةِ، وشربِ الخمر، وأنه متعرضٌ لعقوبة الله وسخطِه، وخزيِه في الدنيا والآخرة". فالله خلقنا لنعبده ونصلي له، ولا ينفع في الإيمان التصديقُ من غير عمل صالح، فإبليسُ حين ترك الامتثالِ لأمر الله بالسجود لآدم، لعنه الله وغضب عليه لتركه طاعته، مع تصديقه بالله، وبالبعثِ يوم القيامة، فما بالُكم بمن يتركُ السجودَ لله، ويُصرُ على التهاون بإقامة الصلاة وهي عمود الإسلام؟! فحافظوا على الصلوات في أوقاتها، فهي أول ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة، ومن أعظم صفات المؤمنين أنهم على صلاتهم يحافظون، وأنهم على صلاتهم دائمون، في الجمعة وغير الجمعة، في رمضانَ وغيرِ رمضان، في السراءِ والضراء.

﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ۝٦﴾ أي: الذين هم يراءون الناس بصلاتهم إذا صلوا أمامهم، ولا يصلون مخلصين لله سبحانه. أما المسلم المخلص فهو يصلي لله حتى ولو تركها جميع الناس من حوله، فهو محافظ عليها في أوقاتها، ولا يبالي بالناس، سواء صلوا أو لم يصلوا، فهو يصلي لله في جميع أحواله أينما كان.

﴿وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ۝٧﴾ ذكر المفسرون قولين في معنى الماعون: القول الأول: الماعون الزكاة، والقول الثاني: الماعون ما يتعاوره الناس بينهم، وكلا القولين صحيح، فالقاعدة في التفسير: أن الآية إذا احتملت معنيينِ صحيحينِ أو أكثر تفسرُ الآية بجميع تلك المعاني، وهذا من عظمة القرآن، فهو حمَّال أوجه،

فمعنى هذه الآية: ويمنعون الزكاة، ويمنعون ما يتعاوره الناس بينهم مما يبذله الناس بعضهم لبعض كالماء والملح والقِدر والفأس والإبرة ونحو ذلك. فالمسلم يحب أن ينفع المسلمين بما يستطيع، فهو يخرج زكاة ماله طيبة بها نفسُه، ويتصدق على المساكين ويعينهم، ويفرح بأن يعين الناسَ بإعارتهم ما ينتفعون به من متاع البيت ونحو ذلك، فكل معروف صدقة. اللهم اجعلنا من المقيمي الصلاة، ومن المنفقين أموالهم ابتغاء مرضاةِ الله. واهدنا لأحسن الأعمال والأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت.



تدبر سورة الكوثر

هذه السورة أقصر سورة في القرآن، وهي سورة مكية كما قال أكثر أهل العلم، والسور المكية هي التي أُنزلت قبل الهجرة، وأما السور المدنية فهي التي أُنزِلت بعد الهجرة، وقال بعض العلماء: هي سورة مدنية، فبعض السور اختلف أهل العلم في كونها مكيةً أو مدنية، مثلُ سورة الكوثر، واعلم بارك الله فيك أن أكثر سورِ القرآنِ مكية، والسورُ المدنيةُ أقلُّ عددا، وهذه فوائدُ مهمةٌ لتيسير معرفة السور المكية والمدنية بحسب ترتيب المصحف:

١- سورة الفاتحةِ مكية.

٢- والسبعُ الطوال هي: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والتوبة، كلها سور مدنية ما عدا سورتي الأنعام والأعراف فمكيتان، وسورة الأنفالِ موضعُها في ترتيب المصحف قبل سورة التوبة، وهي تتعلق بغزوة بدر، فهي سورة مدنية بلا إشكال.

٣- وما بعد السور السبع الطوال إلى آخر الحواميم كله مكي ما عدا سورتي النور والأحزاب فمدنيتان، وسورة النور لا يخفى كونُها مدنية، ففيها ذكر براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وكذلك سورة الأحزاب لا يخفى كونُها مدنية،

ففيها ذكر أمهات المؤمنين، وفيها ذكر غزوةِ الأحزابِ والحثِ على الجهاد، مما يدل على أنها سورةٌ مدنية، والحواميم سبعُ سورٍ تبدأ بحم، وهي: سورةُ غافرٍ وفصلتْ والشورى والزخرفِ والدخانِ والجاثيةِ والأحقاف، وكلها سورٌ مكية.

٤- واعلم أن كل سورة تبدأ بحروف مقطعة مثل حم و ألم و طه و يس و ن و ق وغيرها فهي سور مكية، ما عدا سورتي البقرة وآل عمران فهما مدنيتان كما تقدم.

٥- وبعد الحواميم تأتي السور الثلاث المتتالية: محمد والفتح والحجرات، وهي سور مدنية، كلها ذُكِر فيها الجهاد، والجهاد إنما شُرِعِ في المدينة بعد الهجرة.

٦- وأول المفصَّل من سورة ق إلى سورة الواقعة سورٌ مكية.

٧- وسورةُ الحديد مع جزء المجادِلة كله سورٌ مدنية.

٨- وجزءُ تباركَ كلُه مكي.

٩- وجزء عمَّ كله مكيٌّ ما عدا سورة البينةِ والنصرِ والفلقِ والناس، على خلاف في بعضها.

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

يقول الله تعالى لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾ أي: إنا أعطيناك الخير الكثير في الدنيا والآخرة، ومن ذلك نهرٌ في الجنة اسمه الكوثر، جاء وصفه في الأحاديث الصحيحة بأنه أحلى من العسل، وأبيضُ من اللبن، وطينُه المسك، وحافتاه قباب اللؤلؤ، وحصاه اللؤلؤ، وشاطئاه عليه درٌّ مجوف، وآنيتُه عددُ النجوم. ومن تلك الأحاديث: حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قرأ سورة الكوثر ثم قال: «أتدرون ما الكوثر؟» فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل، عليه خير كثير». أخرج هذا الحديثَ مسلمٌ في صحيحه، وقد رواه عن أنسٍ جماعةٌ من أصحابه، وتفرد راوٍ من أصحابِ أنسٍ بذكر أن هذه السورة نزلت في المدينة، وأحفظُ أصحابِ أنسٍ كقتادةَ وثابتٍ البُناني لم يذكروا في هذا الحديثِ نزولَها في المدينة؛ ولهذا اختلف العلماءُ في كونها سورةً مدنيةً أو مكية، والله أعلم.

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢﴾ أي: فصل - يا رسول الله - الصلواتِ الفريضةَ والنافلةَ مخلصا لربك، وانحر له الأضاحي لإطعام المساكين؛ شكرا لله على نعمته عليك، وتقربا إليه. فأمره الله أن يجمع بين عبادة الصلاة، وعبادة الذبح لله لإطعام الناس، كما قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢﴾ [الأنعام:١٦٢]. والنحر يكون بطعن البعير في لَبَّته أسفلَ عُنُقِه، فالنحرُ يختص

بالإبل، والذبحُ للبقر والغنم، وقد ذكر الله النحر في هذه الآية؛ لأن الإبل أنفعُ من غيرها لإطعام المساكين؛ لكثرة لحمها.

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ أي: إن مبغضك - يا نبيَّ الله - ومبغض الحقِ الذي جئت به هو الحقيرُ الذليل، المنقطعُ من كل خير، الذي لا يُذكر إلا بالسوء. كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْأَذَلِّينَ ۝٢٠﴾ [المجادلة:٢٠]. فكل من أبغض الرسولَ وعاداه في أي زمانٍ ومكانٍ فإنه حقيرٌ ذليل، ومنقطعٌ من كل خير، ويمحقُ اللهُ حياتَه، ولا يُذكر إلا بالسوء، كصناديدِ قريشٍ الذين أبغضوا النبي ﷺ وعادَوه، فقطع الله دابرَهم، ومحقَ أثرَهم، وهكذا من يُبغضون النبي عليه الصلاة والسلام في زماننا، ويسخرون منه، ويَنشرون الرسوماتِ المسيئةَ له، فهم منقطعون من كل خير، وإن لم يتوبوا فسيُهلِكُهم الله، والله يمهِل ولا يُهمل. ولماذا يبغضون النبيَّ عليه الصلاة والسلام الذي أرسله الله رحمة للعالمين؟ فشريعته ﷺ كلُها رحمة، ودعوتُه رحمة، وأقوالُه رحمة، وأفعالُه رحمة، وكل ما أمر به النبيُ عليه الصلاة والسلام وجوبا أو استحبابا ففعلُه رحمة، وكل ما نهى عنه تحريما أو تنزيها فتركُه رحمة. جاء النبيُ ﷺ بالرحمة بالناس عموما الرجالِ والنساء، والكبارِ والصغار، والأقاربِ والأباعد، والأغنياءِ والفقراء، والأقوياءِ والضعفاء، والولاةِ والرعية، والأحرارِ والعبيد، والمسلمين والكافرين. جاء النبي ﷺ بالرحمة بالبشرية كلِّها في الدنيا والآخرة، يحذرهم من نار الجحيم، ويدعوهم إلى طريق جنة النعيم، فمن أطاعه فقد اهتدى، ومن عصاه فقد غوى. وما لهم لا يؤمنون بالنبي محمدٍ ﷺ وهو أكثرُ الرسلِ معجزةً، وأظهرُهم برهانا،

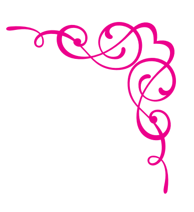
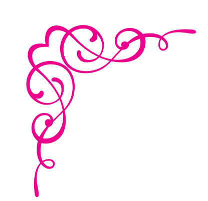
وقد جمع بعض العلماءِ معجزاتِه ودلائلَ نبوتِه فبلغت أكثرَ من ألفٍ وأربع مائة معجزة، فمن معجزاتِه ودلائلِ نبوته:

حادثةُ انشقاقِ القمر، التي وقعت في مكةَ قبل الهجرة، قال الله سبحانه: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ * وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ﴾ [القمر:١-٣]، وقد رأى ذلك كفارُ قريش وادعوا أنه سحر، ثم أسلم كثير منهم، فلو لم يكونوا رأوا انشقاقَ القمرِ لما آمنوا بالقرآن الذي يُثبت انشقاقَه. ومن معجزاته: الإسراءُ من مكةَ إلى بيتِ المقدس، والمعراجُ إلى السماءِ السابعة، كل ذلك في ليلةٍ واحدة! ومن ذلك: تكثيرُ الطعامِ القليلِ حتى يكفي المئات، وقد وقع هذا أكثرَ من مرة. ومن ذلك: نبعُ الماءِ من بينِ أصابعِه، وقد وقع هذا أكثر من مرةٍ حضراً وسفراً. ومن ذلك: أن النبي ﷺ كان يخطب إلى جذعٍ في مسجده، فلما صُنِع له منبرٌ صعِد عليه، فحنّ الجذعُ وصاح صياحَ الصبيِ فضمه النبيُ ﷺ إليه حتى سكت، وسمع ذلك كلُّ من في المسجد. ومن ذلك: استجابةُ الله دعاءَه في أمورٍ شتى، مثل سؤاله الله إنزال المطر، فينزل المطرُ بإذن الله بعد دعائه مباشرة. ومن ذلك: إبراءُ كثيرٍ من المرضى على يديه في قصصٍ كثيرةٍ معروفةٍ في الأحاديثِ الصحيحة. ومن ذلك: ما أطلعه الله من الغيوب وما يكون، فقد أخبر أصحابَه ووعدهم بفتحِ مكة وبيتِ المقدس واليمنِ والشامِ والعراق، وأخبر بفتحِ خيبرَ على يد علي بن أبي طالبٍ رضي الله عنه في غدِ يومه، وغير ذلك مما وقع كما أخبر به. ومن ذلك: آثار الرسول ﷺ في البشرية، فقد أخرج المسلمين من الظلمات إلى النور، وزكاهم حتى صاروا خيرَ أمةٍ أُخرِجَت

للناس حين آمنوا به واتبعوه. ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام سيرتُه المشرقة، فمن قرأها وتأملها علم أنها سيرةُ نبيٍّ كريم. ومن أعظم معجزاتِه عليه الصلاة والسلام القرآنُ الكريم، وهو معجزتُه الخالدة، التي لا يستطيع الإنس والجن أن يأتوا بمثله، أخبارُه صادقة، وأحكامُه عادلة، وبركاتُه كثيرة، فهو خيرُ الكتبِ التي أنزلها الله على أنبيائه، والعلم به أفضلُ العلوم، بين الله فيه كلَّ ما يحتاجُ إليه المسلمون في كل زمانٍ ومكان، فهو يهديهم إن اتبعوه للتي هي أقوم في جميع أمورهم الدينية والدنيوية، الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فكل ما يحتاج الناس إليه بينه الله في كتابه العظيم نصًا أو دَلالة أو استنباطًا، علمه من علمه، وجهله من جهله، فهو موعظة للمتقين، وشفاءٌ لما في صدور المتدبرين، وهدىً ورحمةٌ للمؤمنين، لا تنقضي عجائبه، ولا تُحصى فوائده.





تدبر سورة الكافرون

هذه السورة كان النبي ﷺ يكثر من قراءتها في صلاته النافلةِ مع سورة الإخلاص، في أولِ النهار، وفي أولِ الليل، وفي صلاةِ الوتر، فكان يقرؤها في ركعتي الفجر قبلَ الفريضة، وفي الركعتين بعدَ صلاةِ المغرب، وفي صلاةِ الوتر. وهذه السورة فيها براءةٌ من جميع الكافرين، من اليهود والنصارى وسائر المشركين على اختلاف أديانهم الباطلة.

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١﴾ هذا أمرٌ من الله لنبيه ولجميع أمته، أي: قل لجميع الكافرين من اليهود والنصارى وسائر المشركين: يا أيها الكافرون بالله وبرسوله وبما أنزل في كتابه اسمعوا تبرؤي منكم ومن كفركم. وهو خِطابٌ للكفار كلِهم، من مضى منهم ومن سيأتي منهم إلى يوم القيامة. ويؤخذ من هذا الخِطابِ مشروعيةُ الصراحةِ والوضوحِ في العقيدة، وعدمُ مداهنة الكافرين حتى في حال الاستضعاف، فهذه السورة مكية، ومع هذا أمرَ اللهُ نبيه أن يبين لأهلِ مكةَ أنهم كفار، ويتبرأ منهم ومن دينهم، وهكذا يجب على المسلم أن يعلن عقيدته ودينه، ويتبرأ من جميع الكافرين. وفي هذا أهميةُ تسميةِ الأمورِ بمسمياتها الصحيحة، فلا يجوزُ تركُ تسميةِ الكافرِ كافرا، فمن الجهل العظيم أن يتحرج

المسلمُ من وصف الكافرين بالكفر كما سماهم الله في كتابه، فهم يكفرون بالله فلا يعبدونه وحده، ويكفرون برسوله فلا يصدقونه ولا يطيعونه، ويكفرون بالقرآنِ فلا يؤمنون أنه من عند الله، ولا يتبعونه، ومن كان يريد الخير للكافر فليدعُه إلى الإسلام، وليبلغه كتاب الله، وليخوفه من عذاب الله.

﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢﴾ أي: يا أيها الكافرون أنا الآن لا أعبد ما تعبدون من آلهةٍ باطلةٍ، لا تستحق العبادة.

﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣﴾ أي: ولا أنتم - أيها الكافرون ما دمتم مصرين على ضلالكم - عابدون الله الواحد الذي أعبده، المتصفَ بصفاتِ الكمالِ سبحانه.

﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤﴾ أي: ولا أنا في المستقبل عابدٌ ما عبدتم - أيها الكافرون - من الآلهة الباطلة، فأنا متبرؤٌ من آلهتكم وعبادتِكم الباطلة، ولا أقبلُها أبدا ما حييت، لا في الحاضرِ ولا في المستقبل.

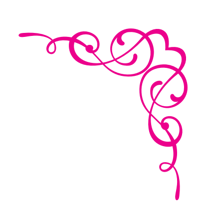
﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٥﴾ أي: ولا أنتم - أيها الكافرون ما دمتم مصرين على ضلالكم - عابدون الله الذي أعبده. فاليهود لا يعبدون الله المتصفَ بصفاتِ الكمال، بل يعبدون إلها يصفونه بالنقائص والعيوب كالتعب والاستراحة يوم السبت وغيرِ ذلك من صفات النقص التي لا تليقُ بالله العظيم، والنصارى يعبدون إلها يصفونه بأن له ولدا وصاحبة، وأنه ثالث ثلاثة، والمشركون يعبدون أصناما وغيرها، فكلهم لا يعبدون الله سبحانه بما شرع لعباده.

﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ أي: لكم - أيها الكافرون - دينُكم، وهو الكفر، وليَ ديني وهو الإسلام، وسيجازي اللهُ كلا منا على دينه وعمله، ومعنى الإسلام: الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله. قال الله تعالى: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمۡ عَمَلُكُمۡۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعۡمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ۝٤١﴾ [يونس:٤١]. وقال سبحانه: ﴿قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَنۡ هُوَ أَهۡدَىٰ سَبِيلٗا ۝٨٤﴾ [الإسراء:٨٤]. وليس في هذه الآية الرضا بدين الكفار كما يظنه بعضُ الملحدين، بل فيها البراءة من دينِهم الباطل، وبيانُ أنه لا يضرُ المسلمَ أعمالُ الكافرين إذا تبرأ منها، فيجب أن نتبرأ من دين اليهود والنصارى وجميعِ المشركين في كل وقت وحين، والبراءةُ من المشركين هو منهجُ جميعِ الأنبياء، كما قال الله تعالى: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤].

ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا، واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم. ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين، ونجنا برحمتك من القوم الكافرين.







تدبر سورة النصر



سورة النصر هي آخر سورة قصيرة أنزلها الله على رسوله عليه الصلاة والسلام، وأما آخر سورةٍ طويلةٍ أنزلها الله على رسوله فهي سورة التوبة.

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ أي: إذا جاء نصر الله بمعونة المؤمنين على الكافرين، وتحققَ فتحُ مكة، وكان فتحُها في رمضان في السنة الثامنة من الهجرة. وقد كانت قبائل العرب تنتظر بإسلامها فتحَ مكة، ويقولون: إن ظهر محمدٌ على قومه فهو نبي، فلما فتح الله عليه مكة دخلوا في دين الله أفواجا، فلم تمض سنتان حتى أسلم معظم أهل الجزيرة العربية. وفي هذه الآية بيان أن النصر من عند الله، ينصر من يشاء، في الوقت الذي يشاء. وفي هذه الآية التفريق بين النصر والفتح، فالنصر قد يكون من غير فتح لبلاد الكافرين، كنصر المسلمين في غزوة بدر، وقد يكون النصر مع الفتح، وهو أكمل، كما حصل في فتح مكة. وقد ذكر الله بعد هذه الآية دخولَ الناس في دين الله أفواجا، فيؤخذ منه أن النصر سببٌ لفتح بلاد الكافرين، وأن الفتح سببٌ لدخول الناس في دين الله أفواجا.

﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢﴾ أي: ورأيت - يا رسول الله - قبائل العرب يدخلون في دين الإسلام جماعات كثيرة، فبعد أن كان يسلم الواحد والاثنان، صار يسلم المئات والألوف، وفي عام تسعة من الهجرة

جاءت وفود القبائل العربية إلى المدينة النبوية يخبرون الرسول بإسلام أقوامهم، وفي سنة عشر من الهجرة حج مع النبي ﷺ حجة الوداع نحو مائة ألف من الصحابة رضي الله عنهم. وقد أخبر الله أن جميع الصحابة السابقين واللاحقين من أهل الجنة فقال في كتابه: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد:١٠]. روى أحمد في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (لما نزلت: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ قال النبي ﷺ: «أتاكم أهل اليمن، هم أرق قلوبا، الإيمان يمان، الفقه يمان، الحكمة يمانية». وقد اختلف العلماء في وقت نزول سورة النصر، فقيل: نزلت بعد غزوة خيبر في السنة السابعة للهجرة، وكان أول مجيء أهل اليمن إلى المدينة بعد غزوة خيبر، حين جاء أبو موسى الأشعري وأصحابه، وكذلك أبو هريرة رضي الله عنهم، وقيل: نزلت هذه السورةُ بعد فتحِ مكة، والله أعلم. والإسلام هو دين الله الذي شرعه لعباده، فليس الإسلام دينا مبتدعا من آراء البشر، بل هو دين الله الذي أرسل به رسوله محمدا ﷺ، والدخول فيه أمان من الضلال والعذاب.

ثم قال الله لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾ أي: فنزه ربك عن النقائص بتسبيحه في الصلاة وفي غير الصلاة، مع الثناء عليه وشكره على نعمه، واطلب منه ستر ذنوبك، واستعد للقائه بعد انتهائك من تبليغ الناس ما أرسلك الله به من دينه. وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ بعد نزول هذه السورة كان يكثر أن يقول في ركوعه

وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي». فكان يجمع بين تسبيح الله بحمده واستغفاره كما أمره الله.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ أي: إن الله كان ولم يزل كثير التوبة على عباده التائبين المطيعين، يرحمهم، ويقبل توبتهم. فمن أسماء الله الحسنى: التواب، فمن تاب تاب الله عليه، وبدَّل سيئاته حسنات برحمته وكرمه، قال الله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝٧٠﴾ [الفرقان:٧٠]. وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشورى:٢٥]. وقال الله عن عباده المتقين: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ۝١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ۝١٣٦﴾ [آل عمران:١٣٥-١٣٦]. والله يفرح بتوبة عبده كما أخبر بذلك النبي عليه الصلاة والسلام. والتوبة واجبة على كل مسلم من كل ذنب، والذنب إما أن يكون بترك واجب، أو بفعل محرم، فعلى المسلم أن يتوب من التقصير في الواجبات، ومن الوقوع في المحرمات، ومن لم يتب فقد عرَّض نفسه لعذاب الله، كما قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝١١﴾ [الحجرات:١١].

قال العلماء: إن كانت المعصية بين العبد وبين الله لا تتعلق بحقِ آدميٍ فلها ثلاثة شروط:

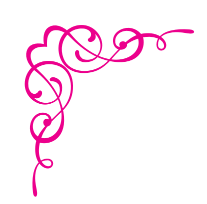
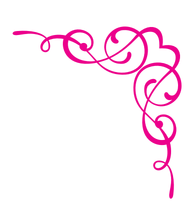
١ - أن يقلع عن المعصية.

٢ - أن يندم على فعلها.

٣ - أن يعزم على أن لا يعود إليها أبدا.

وإذا كان الذنب يتعلق بحق آدمي فيزاد شرط رابع لتصح توبته، وهو: أن يبرأ من حق صاحبه، فإن كان مالا مسروقا أو مغصوبا رده إليه، وإن كان غيبة استحله منها، وإن لم يمكنه استغفر له، ودعا له، وأثنى عليه عند الناس الذين اغتابه عندهم. ويجب على المسلم أن يتوب من جميع الذنوب، فإن تاب من بعضها صحت توبته من ذلك الذنب، وبقي عليه أن يتوب من الذنوب الأخرى، قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١﴾ [النور:٣١]. فالتوبة سبب للفلاح في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ [هود:٣].

اللهم وفقنا للتوبة النصوح، وحبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين. اللهم اجعلنا من الذين إذا أُعطوا شكروا، وإذا ابتُلوا صبروا، وإذا أَذنبوا استغفروا.

تدبر سورة المسد

روى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ خرج يوما في مكة فصعِد إلى الجبل فنادى قريشا، فلما اجتمعوا قال: «إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا؟! تبا لك، فأنزل الله عز وجل: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ إلى آخرها، فهي من أوائل السور المكية.

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ أبو لهب هو عم النبي ﷺ، واسمه عبد العزى بن عبد المطلب، وقد أدرك بعثة النبي ﷺ أربعة من أعمامه، فأسلمَ اثنانِ، وكفر اثنان، أسلم حمزة والعباس رضي الله عنهما، وكفر أبو لهب وأبو طالب، وكان أبو طالب يحمي النبي ﷺ من كفار قريش، ويدافع عنه، ولكنه لم يسلم، أما أبو لهب فكان شديد الكفر والعداوة للنبي ﷺ، وفي هذا عبرةٌ لمن يعاديه بعض أقاربه، فعليه أن يصبر كما صبر النبي ﷺ على عمه. روى ابن أبي شيبة عن طارق المحاربي رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز، وهو ينادي بأعلى صوته: «أيها الناس، قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا»، وعمه أبو لهب يتبعه بالحجارة، قد أدمى كعبيه، وهو يقول: يا أيها الناس، لا تطيعوه؛ فإنه كذاب. ومعنى ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ أي: خسرت يدا أبي لهب، وهذا دعاء عليه، وقوله: ﴿وَتَبَّ ۝١﴾ أي: وقد خسر وشقي لكفره بالله ورسوله، وهذا خبر بأن أبا لهب قد خسر.

﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ٢﴾ يعني: أيُّ شيء دفع عنه مالُه والذي كسبه من الأولاد والجاه والأموال إذا مات على كفره؟! كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ١١﴾ [الليل:١١]، فمن كان كافرا، وتمتع في الدنيا سنين، فحين يموت يخسر الدنيا والآخرة، فالله قد يعطي الكافر الأموال والأولاد استدراجا له، ولتكثر آثامُه كما قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتَ إِن مَّتَّعۡنَٰهُمۡ سِنِينَ ٢٠٥ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ٢٠٦ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ٢٠٧﴾ [الشعراء:٢٠٥-٢٠٧].

﴿سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ٣﴾ أي: سيدخل أبو لهبٍ نارا عظيمة الاشتعال، شديدة الإحراق، تحيط به من جميع جوانبه.

﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ٤﴾ امرأة أبي لهب هي أم جميل أروى بنتُ حرب، وكانت تمشي بين الناس بالنميمة، والنميمة من كبائر الذنوب، وهي نقل الكلام بين الناس للإفساد بينهم. قال الله سبحانه: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ٤﴾ أي: وستدخل النارَ أيضا زوجته التي كانت تمشي بين الناس بالنميمة، وتوقد بينهم العداوات بسبب ما تنقله إليهم من الكلام. هكذا فسر الآيةَ بعضُ المفسرين، وقال بعضهم: كانت تحمل الشوك فتُلقيه على طريق النبي الله ﷺ، ولا مانع من صحة القولين، فتكون قد جمعت بين هاتين السيئتين: المشي بين الناس بالنميمة، ورمي الحطب والشوك في طريق النبي عليه الصلاة والسلام، ولعل القول الأول أصح، والله أعلم، فقد ذكر علماء اللغة والتفسير أن العرب يقولون: فلان يحطب على فلان إذا نم به، ومنه قول الشاعر:

إنَّ بني الأدرمِ حمَّالُو الحطب ... هُمُ الوُشاةُ في الرِّضا وفي الغَضَب

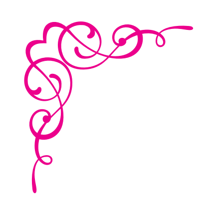
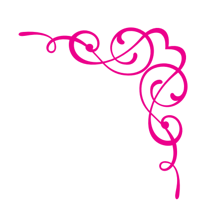
قال العلماء: في هذه السورة معجزة ظاهرة للنبي ﷺ، ودليل من دلائل نبوته، فقد أخبر الله عن أبي لهبٍ وامرأتِه أنهما من أهل النار، ولم يؤمنا فِعلا حتى ماتا. وفي هذه السورة دليل على الإيمان بالقضاء والقدر، فقد علم الله موتهما على الكفر، وأنهما من أهل النار، وكتب ذلك في كتابه، فالله يعلم ما سيعمل عباده، لا يخفى عليه شيء من الماضي ولا من المستقبل، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد:١٩] أي: يعلم متقلبكم في الدنيا، ويعلم مثواكم في الآخرة في الجنة أو في النار.

﴿فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ٥﴾ أي: في عنق امرأة أبي لهبٍ حبل غليظ شديد تُعذَّب به في نار جهنم. وهذه السورة تبين أن الأنساب لا تنفع عند الله، فأبو لهبٍ من أهل النار مع كونه عمَّ النبيِّ ﷺ، فميزان التفاضل عند الله التقوى، كما قال سبحانه: ﴿وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحجرات:١٣]، وقد أخبرنا الله في كتابه أن ابن نوح الذي كفر وأبى أن يركب مع المؤمنين السفينة من أهل النار، وكذلك آزر أبو النبي إبراهيمَ عليه الصلاة والسلام من أهل النار، وقال الله سبحانه عن إبراهيم: ﴿وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ١١٣﴾ [الصافات:١١٣]، فبعض ذرية الأنبياء محسنون، وبعضهم ظالمون، فالعبرة عند الله بالأعمال لا بالأنساب، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١﴾

[المؤمنون:١٠١]، وقال النبي ﷺ: «من بطأ به عمله، لم يسرع به نسبه» رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

اللهم فقهنا في الدين، وعلمنا تفسيرَ كتابِك الكريم، وسنةَ نبيِّك عليه الصلاة والتسليم.



تدبر سورة الإخلاص

هذه السورة لها فضل عظيم، فهي تعدل ثلث القرآن كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ، ومعنى كونها ثلث القرآن أن أجر تلاوتها يعدل أجر تلاوة ثلث القرآن، لكن من قرأ ثلث القرآن فله أجر مضاعف، فمن قرأ ثلث القرآن يعني عشرة أجزاء من القرآن أكثر أجرا ممن قرأ سورة الإخلاص مرة واحدة من جهة التضعيف، وقراءة سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن من غير تضعيف، وقال بعض العلماء: القرآن كله ثلاثة أقسام، توحيد وأحكام وجزاء، فهو إما آيات في توحيد الله، وإما آيات في بيان الأحكام من الحلال والحرام، وإما آيات في ذكر الوعد والوعيد في الآخرة، وسورة قل هو الله أحد كلها في التوحيد، فهي ثلث القرآن من هذه الجهة، والله أعلم. وهذه السورة لها سبب نزول، فقد ذكر بعض المفسرين من الصحابة والتابعين أن مشركي قريش سألوا النبي ﷺ عن ربه، ما هو؟ فأنزل الله هذه السورة الكريمة. وسور القرآن منها ما له سبب نزول، ومنها ما نزل ابتداء من غير سبب، وأكثر سور القرآن ليس لها سبب نزول خاص.

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ أي: قل - يا رسول الله - للمشركين السائلين عن صفة الله: هو الله المستحق للعبادة وحده، المتفرد بالوحدانية في ذاته وصفاته.

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ أي: الله الكامل في صفاته، المقصود في حاجات عباده. فالصمد من الأسماء الحسنى، وله معنيان: المعنى الأول: الكامل في صفاته، فالله هو السيد الكامل في جميع صفاته، فهو السميع الذي كمل في سمعه، البصير الذي كمل في بصره، العليم الذي كمل في علمه، الحكيم الذي كمل في حكمته، وهكذا سائر صفاته، فكل صفة من صفاته بالغة الغاية في الكمال والعظمة، والمعنى الثاني: المقصود في حاجات عباده، فهو الذي يقصده العباد في قضاء حاجاتهم.

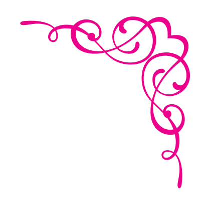
﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ أي: الله لم يلد ولدا من الإنس والجن والملائكة، لا عيسى، ولا غيرَه، والله لم يلده والد، فليس له أبٌ ولا أم، فهو الأول قبل خلقه، والآخر الدائم الذي لا يموت سبحانه. وفي هذا ردٌّ على النصارى الذين يعتقدون أن عيسى ابنَ الله، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا. قال الله سبحانه: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۝٨٨ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ۝٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ۝٩١ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝٩٣ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝٩٤ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ۝٩٥﴾ [مريم:٨٨-٩٥]. وقال عز وجل: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨]. وقال تبارك وتعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد:٣].

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ أي: وليس لله أحد مثيلا له في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله. كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ



ﵟٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١ﵞ [الشورى:١١]. فالله لا يماثله شيء من مخلوقاته، وكل ما خطر ببالك فالله خلافُ ذلك، ولا يجوز تخيلُ كيفية صفات الله، فنحن لا نعلم كيفية الروح التي خلقها الله فينا، ولا نعلم كيفية نعيم الجنة وعذاب النار، ولا كيفية الملائكة، وهي أشياءُ مخلوقة، فمن باب أولى لا نعلم كيفية صفات الخالق سبحانه، كما قال الله تبارك وتعالى: ﵟوَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ١١٠ﵞ [طه:١١٠]، فلا نحيط علما بذاته، ولا بصفاته، سبحانه لا إله غيرُه، ولا شبيهَ له، ولا نَظيرَ له، ولا وَلَدَ له، ولا وَالِدَ له، ولا صاحبة له، ولا شريكَ له، هو الأول فليس قبله شيء، والآخر فليس بعده شيء، ليس لأَوَّليَّتِهِ ابتداءٌ، ولا لآخِرِيَّته انقضَاءٌ، يَعتَبِرُ المتفكِّرونَ بمخلوقاته، ولا يَتَفكَّرونَ في ذاتِه، ﵟهُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤ﵞ [الحشر:٢٢-٢٤].






تدبر سورة الفلق

جاء في الحديث الصحيح أن النبيَّ ﷺ سحره رجلٌ من اليهود اسمه لبيد بن الأعصم، فمرض النبي ﷺ، فأتاه جبريل، وأخبره بأن السحر موضوع في بئر في المدينة، فأمر النبي ﷺ بإخراج السحر منها، وحل عُقَدَه، وشفاه الله سبحانه. رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها، ورواه أحمد في مسنده من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه. وليس في هذا الحديث أن النبي ﷺ كان يقول شيئاً ولا يريد قوله، أو ينسب إلى الدين ما لم يأمره به الله، ولم يستمر هذا السحر طويلا، فقد دعا النبي ربه كثيرا حتى شفاه، ولا يوجد دليل يمنع من إمكان وقوع السحر بالنبي عليه الصلاة والسلام وغيره من الأنبياء، بل يوجد دليل في القرآن الكريم على أن النبي موسى عليه الصلاة والسلام سُحِر، قال الله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾﴾ [طه:٦٦-٦٨].

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾﴾ أي: قل متعوذا بالله وحده: أستجير بخالق الصبح، فالفلق هو الصبح، كما قال تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام:٩٦]. وهذا الخطاب للنبي ﷺ ولجميع أمتِه.

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ أي: أعوذ بالله رب الفلق من شر كل مخلوق فيه شر، من الإنس والجن والحيوانات والأمراض والأوبئة والرياح والصواعق ونار الدنيا ونار جهنم، ومن كل مخلوق فيه شر في الدنيا والآخرة. وهذه الآية دالة على أن الله سبحانه خالقُ كلِّ شيء من الخير والشر، كما قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ [الزمر:٦٢]، فالله يخلق الشر لحكمة، كما خلق إبليس لاختبار عباده، وكما يخلق الأمراض لحكمٍ كثيرة، منها: أنها سببٌ لموت كثير من الناس، حتى يخلف الناس بعضهم بعضا في هذه الدنيا، فلو بقي جميع الناس أحياءً من وقت آدم عليه الصلاة والسلام لضاقت الأرض بأهلها، ومنها: أن الأمراض تطهيرٌ للمؤمنين من الذنوب، وسببٌ لتوبة كثير من الغافلين، ومنها: أن في الأمراض منفعةً لكثير من الناس، فمصائب قوم عند قوم فوائد، فالأمراض سببٌ لتحصيل أرزاق الأطباء والصيادلة وغيرهم، والله أحكم الحاكمين. وفي صحيح مسلم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في دعائه: «والشر ليس إليك»، قال العلماء في شرح هذا الحديث: فيه الإرشاد إلى الأدب في الثناء على الله بأن يضاف إليه محاسنُ الأمور دون مساويها، ومعنى قوله: (والشر ليس إليك) أي: لا يتقرب به إليك، وقيل: معناه: والشر لا يصعد إليك، إنما يصعد إلى الله الكلم الطيب والعمل الصالح، وقيل: معناه: والشر ليس شرا بالنسبة إليك، فإنك خلقته بحكمة بالغة، وإنما هو شر بالنسبة إلى المخلوقين.

﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ أي: وأعوذ بالله من شر الليل إذا دخل، فيشرع لنا الاستعاذة بالله من شر الليل، فالشرور تقع في الليل أكثر من النهار،

ففي الليل تنتشر الشياطين، وتخرج كثير من الحيوانات المؤذية كالحيات والعقارب والسباع، وتكثر السرقات والحرائق.

﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ۝٤﴾ أي: وأعوذ بالله من شر الساحرات اللاتي ينفخن في عقد الخيوط بقصد السحر. فالساحر يأخذ خيطا، ولا يزال يقرأ فيه أسماء الشياطين وغير ذلك من الطلاسم، ويعقد على الخيط عقدة بعد عقدة، وينفث ويتفل في تلك العقد، وقد يؤثر سحره في المسحور مرضا أو جنونا أو تفريقا بين المرء وزوجه كما قال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٠٢]. فالسحر له حقيقة، وهو نوعان: سحر تأثير، وسحر تخييل، فأمرنا الله بالاستعاذة من السحر والسحرة، سواء كان سحرهم يؤثر في المسحور بمرض أو غير ذلك، أو كان سحرهم تخييلا، فلا يدفع عنا شر السحرة إلا الله وحده. وقراءة هذه السورة مع سورة الناس من أعظم أسباب الحفظ من شر شياطين الإنس والجن، فما تعوذ الناسُ بأفضل منهما. وقد خص الله ذكر ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾ دون النفاثين؛ لأن غالب من يستعمل السحر النساء، وقال بعض المفسرين: ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾ يعني الأنفسَ النفاثات، فيشمل السحرةَ من الرجال، والساحراتِ من النساء.

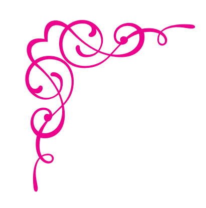
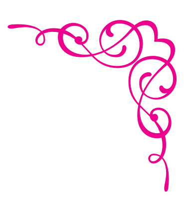
﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ أي: وأعوذ بالله من شر كل حاسد من الإنس والجن إذا حسد صاحب النعمة وأراده بسوء بقوله أو بفعله أو بعينه الخبيثة، والحاسد هو الذي يتمنى زوال نعمة الله عن المحسود. وشر الحاسد إنما



يقع إذا أظهر حسدَه وأعمله، فحينئذ يضر بقوله أو بفعله أو بإصابته بالعين، فإن العين حق، كما جاء في الأحاديث الصحيحة، وعين الحاسد قد تُمرض الإنسانَ أو تقتله أو تتلف ما معه من مال ومتاع، فأمرنا الله أن نستعيذ به من شر الحاسد إذا حسد. فما أعظم هذه السورةَ التي هي حرز عظيم من جميع الشرور!

ويستحب الإكثار من قراءة هذه السورة، لا سيما في أول النهار وآخره، وبعد كل الصلوات الخمس، وعند النوم، روى البخاري عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيهما فقرأ فيهما: قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات. وروى أبو داود عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: (أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذات دبر كل صلاة).



تدبر سورة الناس

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١﴾ أي: قل متعوذا بالله وحده: أستجير بخالق الناس ومالكهم ومدبر أمورهم. فيجب علينا أن نستعيذ بالله وحده، كما قال تعالى: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝٥٦﴾ [غافر:٥٦]، ولا يجوز الاستعاذة بغير الله، فبعض الناس يستعمل الحروز والتمائم للاستعاذة بها، فيعلقها على نفسه أو أولاده أو على سيارته أو بيته أو على بعض الأنعام، ويعتقد أنها تدفع الشر، وهذا من الشرك، فلا يدفع الضرَّ عنا إلا الله سبحانه.

﴿مَلِكِ النَّاسِ ۝٢﴾ أي: ملك جميع الإنس، ومن أسماء الله الحسنى: الملك: فالخلق كلهم تحت سلطانه وتدبيره وقدرته وقهره، فهم عبيده، يتصرف فيهم بما يشاء.

﴿إِلَٰهِ النَّاسِ ۝٣﴾ أي: معبود الناس المستحق للعبادة وحده، وكل معبود سواه باطل.

﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝٤﴾ أي: من شر الشيطان الموسوسِ للناس بالشر، الذي يخنُس إذا ذكر العبدُ ربه. كما قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ

وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف:١٦-١٧]. فأمرنا الله أن نستعيذ به من شر الشيطان، فالشيطان حريص على إضلالنا بوسوسته، قال سبحانه: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾ [الأعراف:٢٠٠-٢٠٢].

﴿ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾﴾ أي: الذي يوسوس في قلوب الناس بكلامٍ خفي، فيزين لهم الباطلَ، ويشككهم في الحق، ويحثهم على المعاصي الظاهرة والباطنة، ويُكَسِّلهم عن الطاعات الواجبة والمستحبة، ويبرر لهم تركها بأعذارٍ واهية. قال الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ﴾ [الأعراف:٢٧]. وقال سبحانه: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون:٩٧-٩٨]. وروى البخاري عن صفية بنت حيي رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم». وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربَّك؟! فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته». ووسوسة الشيطان في صدور الناس تكون بأمور كثيرة، منها: الوسوسة لإفساد الإيمان، والتشكيك في العقائد، حتى يخرج الإنسان من الإسلام إلى الكفر والإلحاد، فإن لم يقدر على ذلك حثه على المعاصي الكبائر، فإن لم يقدر على ذلك فالصغائر، فإن لم

يقدر على ذلك ثبطه عن الطاعات، فإن لم يقدر على ذلك أدخل عليه الرياء في الطاعات، فإن سلم من ذلك أدخل عليه العجب بنفسه، ومن وساوسه أنه يثير في القلب الحسد، والحقد، والغضب، حتى يقود الإنسانَ إلى الأعمال السيئة، فنعوذ بالله من شره.

﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ أي: من شياطين الجن والإنس الذين يوسوسون بالشر في صدور الناس. فالوسوسة قد تكون من الجن، وقد تكون من الإنس من الأصحاب والأزواج والأولاد وغيرهم، فأمرنا الله أن نستعيذ به من شر شياطين الجن والإنس، فمن الإنس شياطين، كأصدقاء السوء، فلا تصاحب إلا مؤمنا، فالصاحب ساحب، ومن شياطين الإنس دعاة السوء، الذين يدعون الناس إلى الشهوات والشبهات، وما أكثرهم هذه الأيام في الشاشات وفي وسائل التواصل الاجتماعي، والله المستعان. قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام:١١٢]. وقال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۝٢٧ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝٢٨ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ۝٢٩﴾ [الفرقان:٢٧-٢٩]. وقال عز وجل: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ۝٦٧﴾ [الأحزاب:٦٧]. وقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ۝٢٧﴾ [النساء:٢٧]. فعلى المسلم أن يستعيذ بالله من وساوس شياطين الإنس والجن. وقد ختم الله كتابه بالاستعاذة من

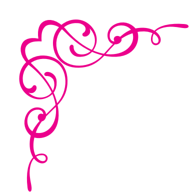


الشرور الظاهرة والخفية؛ لتحصل الاستعاذة بالله لمن يقرأ القرآن عند أول قراءته وعند آخر ما يقرأ من المصحف.

اللهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء همومنا، وارزقنا يا رحمن تلاوته وتدبره والعمل به، وارزقنا طاعتك وطاعة رسولك، إنك أنت الوهاب المنان، يا ذا الجلال والإكرام.

وصل اللهم وسلم على نبينا محمد وأهل بيته وأزواجه وذريته، وارض عن أصحابه، واغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا إنك رءوف رحيم.






المحتويات

المقدمة ٣

تدبر سورة الفاتحة ٥

تدبر آية الكرسي ٢٠

تدبر سورة النبأ ٢٥

تدبر سورة النازعات ٣٣

تدبر سورة عبس ٤١

تدبر سورة التكوير ٤٨

تدبر سورة الانفطار ٥٦

تدبر سورة المطففين ٦٠

تدبر سورة الانشقاق ٦٩

تدبر سورة البروج ٧٦

تدبر سورة الطارق ٨١

تدبر سورة الأعلى ٨٥

تدبر سورة الغاشية ٩١

تدبر سورة الفجر ٩٨

تدبر سورة البلد ١٠٥

تدبر سورة الشمس ١١١

تدبر سورة الليل ١١٥
تدبر سورة الضحى ١١٩
تدبر سورة الشرح ١٢٣
تدبر سورة التين ١٢٨
تدبر سورة العلق ١٣٢
تدبر سورة القدر ١٣٧
تدبر سورة البينة ١٤٠
تدبر سورة الزلزلة ١٤٦
تدبر سورة العاديات ١٤٩
تدبر سورة القارعة ١٥٢
تدبر سورة التكاثر ١٥٥
تدبر سورة العصر ١٦٠
تدبر سورة الهمزة ١٦٤
تدبر سورة الفيل ١٦٧
تدبر سورة قريش ١٦٩
تدبر سورة الماعون ١٧٢
تدبر سورة الكوثر ١٧٧
تدبر سورة الكافرون ١٨٣
تدبر سورة النصر ١٨٦
تدبر سورة المسد ١٩٠

تدبر سورة الإخلاص ١٩٤
تدبر سورة الفلق ١٩٧
تدبر سورة الناس ٢٠١
المحتويات ٢٠٥




التسهيل
في تدبر جزء عم
مع سورة الفاتحة وآية الكرسي
تأليف
محمد بن علي بن جميل المطري
باحث متخصص في تفسير القرآن الكريم والسنة النبوية
من المشاركين في تأليف موسوعة التفسير الخاصة بموقع الدرر السنية
وأحد الباحثين الأكاديميين في موسوعة الهدايات القرآنية